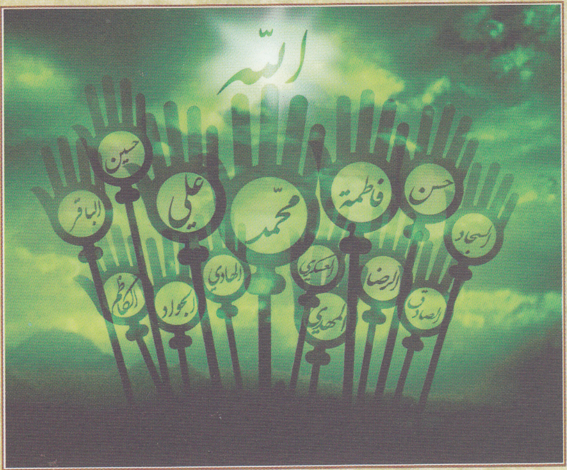
المحقق آية الله الشيخ محمّد السند

في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة



مكتبة فدك

في رحاب

الزيارة الجامعة الكبيرة

في رحاب

الزيارة الجامعة الكبيرة

المحقق آية الله الشيخ محمد السند

إعداد

السيد علي جلال الشرخات

مكتبة فدك

بسم الله الرحمن الرحيم

في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة

آية الله الشيخ محمد السند

- الناشر: باقيات
- الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الأولى
- تاريخ الطبع: ٢٠٠٧م ـ ١٤٢٨هـ.ق
- القطع وعدد الصفحات: رقعي ـ ١٠٤ صفحة

شابك : ٤-٩٥-٦١٦٨-٩٦٤-٩٧٨

عنوان الناشر: ايران ـ قم ـ شارع معلم ـ رقم ٤٤ ـ تلفون: ٧٧٤٣٩٠٠

مركز التوزيع : ايران ـ قم ـ مجمع الإمام المهدي (عج) ـ الطابق الأرضي
رقم ١١٦،١١٧ ـ تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤

مكتبة فدك

في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة

آية الله الشيخ محمد السند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، أبي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري مقاماتهم وفضائلهم إلى قيام يوم الدين .

تعتبر الزيارة الجامعة الكبيرة إحدى أهمّ الزيارات التي رويت لنا عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، وتمثّل هذه الزيارة العظيمة خلاصة عقائد مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وتبرز المقامات الحقّة للأئمّة المعصومين عليهم السلام ، وتبيّن منزلتهم العظيمة عند الله عزّ وجلّ ، فهم عليهم السلام :

مَحالّ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَنُورُ اللهِ ، وَمَساكِنُ بَرَكَةِ اللهِ ، وَمَعادِنُ حِكْمَةِ اللهِ ، وَخَزَنَةُ عِلْمِ اللهِ ، وَحَفَظَةُ سِرِّ اللهِ ، وَحَمَلَةُ كِتابِ اللهِ ، وَوَرَثَةُ رَسُولِ اللهِ وَأَوْصياؤُهُ وَذُرِّيَّتُهُ صلّى الله عليه وآله » .

وهذه العبارات العظيمة الشريفة في الزيارة الجامعة هي فوق كلام سائر المخلوقين ، ودون كلام الخالق ، لا يدرك كنهها عقلٌ ،

ولا يحسّها قلبٌ ، كما نوّه أئمّة أهل البيت عليهم السلام في الأخبار الصحيحة على ذلك ، فقد قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام : « **حديثنا صعب مستصعب ، لا يؤمن به إلّا ملك مقرّب ، أو نبيّ مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فما عرفت قلوبكم فخذوه ، وما أنكرت فردّوه إلينا** »[١] .

فقد أمرنا أئمّتنا عليهم السلام بعدم ردّ حديث أو رواية أو إنكارها حين لا نستطيع فهمها ، بل علينا أن نردّها لأهل الذكر وأُولي الأمر وعيبة علم الله .

إلّا أنّنا نرى بعض الذين يُتحفّظ على آرائهم الاعتقاديّة ، من الذين لم يستطيعوا استيعاب عمق مضامين هذه الزيارة العظيمة ، يحاولون ردّها وإنكارها بشتّى الطرق .

فمرّة قالوا : إنّ سندها ضعيف !

ومرّة : إنّها من الآحاد !

ومرّة : إنّ مضامينها تخالف ظواهر ومضامين القرآن الكريم !

وقد جاء هذا الكتيب ردّاً على هذه التشكيكات ، وهو في الأصل عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها سماحة الأُستاذ المحقّق آية الله

---

(١) بصائر الدرجات : ٤١ ، باب في أئمّة آل محمّد عليهم السلام حديثهم صعب مستصعب ، الحديث ٤ .

الشيخ محمّد سند أدام الله عزّه في البحرين .

وقد تمّ تدوين هذه المحاضرات وتنقيحها وترتيبها على قسمين :

الأوّل : حول سند الزيارة ، وهو عبارة عن بحث حول توثيق الراوي موسى بن عمران بن يزيد النخعي رحمه الله .

الثاني : حول متن الزيارة ، وهو عبارة عن ردّ الشبهة المطروحة القائلة : إنّ مضامين الزيارة الجامعة مخالفة للقرآن للكريم ، عن طريق إثبات وشرح تطابقها للقرآن الكريم .

وفي الختام نشكر سماحة الشيخ أحمد العبيدان على تقويمه لنصّ الكتاب . والأخ العزيز السيّد حسن الموسوي على مساعدتي في استقصاء تخريج المصادر . نسأل من الله العليّ الأعلى أن يرزقنا معرفة مقامات الأئمّة الأطهار عليهم السلام والحمد لله أوّلاً وآخراً .

السيّد عليّ جلال الشرخات

٢٣ شوّال ١٤٢٦هـ

القسم الأوّل

الراوي

موسى بن عمران بن يزيد النخعي[1]

(١) موسى بن عمران النخعي هو نفسه موسى بن عبدالله النخعي ، وقد صرّح باتّحاده مع موسى بن عمران الشيخ عليّ النمازي الشاهرودي (ره) في مستدرك معجم رجال الحديث : ١٥٣٤٤ .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين

المدخل

ليس بالإمكان اعتبار توثيق الرجال أو تضعيفهم استناداً إلى آراء وفتاوى روّاد علم الرجال اجتهاداً ، لأنّ ذلك لا يخرج عن التقليد ، فلا يمكن أن يدان أحد أو يُلْزَم بما قاله النجاشي أو ابن الغضائري أو غيرهما في توثيق رجل أو تضعيف آخر ، لاعتبار هذا من التقليد في التوثيق وفي الجرح والتعديل . وإذا ما أراد أحد أن يبني عقيدته ويبني تراثه على التحقيق والاجتهاد ، فلا يصحّ له أن يقلّد فيه ، بل يجب عليه أن يسبر بنفسه ويبحث عن منشأ تضعيف هذا الرجل الذي ضُعِّف ، هل هو صحيح أو ربّما كان تحاملاً عليه ؟ وعن منشأ التوثيق ، أهو صحيح أم أنّ فيه تحيّزاً ؟

وهذا أمر بالغ الخطورة ، لأننا في هذا الاستنتاج العلمي نقرّر مصير مدى انتفاعنا بالتراث ، ونحدّد درجة وكيفيّة الحفاظ على التراث ،

وهذه الموقعيّة من المسؤوليّة تجاه التراث كيف يحصر صلاحية هذا الموقع ويُصادر، ونجعل عليه وصاية منهج معيّن حقيقته التقليد وتحكيم فتاوى رجاليّة وجعلها من الثابتات الأزليّة التي لا يطاولها نقد ولا اعتراض، مع أنّ الجرح والتعديل يقوّض أو يبسط في التراث، والحديث النبويّ وحديث أهل البيت عليهم السلام، لا يصحّ أن نُلزم بما قاله النجاشي -من باب المثال- في التضعيف، أو بما قاله كبار علماء الرجال عندنا، وليست هذه دعوة لغضّ الطرف وصرف النظر، وبألّا نعطي أيّ قيمة علميّة لما قالوه، فالأمر ليس استخفافاً بأقوال العلماء، بل ما قالوه مجرّد معطيات ومؤشّرات لا بدّ أن ينضمّ إليها مناهج وموادّ أُخرى يوازن فيما بينها، ثمّ يستنتج حقيقة الحال.

وهذا نظير الباحث التاريخي (فعلم الرجال اشتقّ من علم التاريخ)، وإنّ الباحث والمحقّق التاريخي لا يقف عند أقوال المعاصرين لشخصيّة تاريخيّة، ولا يحسب نظرته ونتيجته النهائيّة ويوقفها عند أقوال المعاصرين لها، فضلاً عن غير المعاصرين، لأنّه كم من معاصر قد أخذه تحامل وحسد، واختلاف في المبنى أو في العقيدة، وغير ذلك ممّا يخرجه عن رحى التحقيق ومصداقيّة البحث.

ولا يمكننا -في الحقيقة- أن نعتمد على نتائج مقرّرة سلفاً من روّاد علم الرجال، لا سيّما في جانب الجرح، ونعتمدها كأُمور مسلّمة،

وكأنّها وحيٌ منزل، فهذه فتاوى رجاليّة، ومن أراد أن يقلّد فيها فعليه باتّباع الفتاوى، مع أنّ هذا ليس منهجاً تحقيقيّاً أصلاً، وأمّا من أراد أن يجتهد ويحقّق فعليه دراسة تلك التضعيفات وتلك الطعون، لأنّ -كما هو واضح للخبير الممارس لعلم الرجال- جملة من التضعيفات -سيّما عند العامّة- هي ناشئة من مبنى اعتقادي معيّن، فإذا كان الراوي لا يتّفق معه في مسألة كلاميّة أو اعتقاديّة، فيسارع إلى تكذيبه وطعنه وجرحه، والنيل منه، والوقيعة فيه بكلّ ما أُوتي، ويحصل هذا كثيراً، وقد صرّح بها كثيرون حتّى في علم الدراية وعلم الرجال، فكيف يمكننا أن نبني على جرحٍ معيّن مبنيّ على عقيدةٍ وعلى رؤيةٍ معيّنة في مثل هذه الحالة؟

ولقد كان كلّ من الميرداماد والمحقّق الوحيد البهبهاني رحمهما الله -الذي يعتبر من المجدّدين في الحوزات العلميّة في القرن الثاني عشر- لا يجمدان على نصوص علماء الرجال من أصحابنا من جانب الجرح أو من جانب التعديل، بل كانا يدرسان الجرح والتعديل بإمعان وتدبّر، ويلاحظان منشأ الجرح والتعديل.

إنّ من يتتبّع فتاوى علماء الرجال في الجرح، قد يرى العالمَ الرجاليّ مجتهداً في تمييز المفردات الرجاليّة عن المشتركات، وتمييز طبقة الراوي، وتمييز تلاميذ الراوي، وتمييز شيوخ الراوي وكتبه،

لكنّه ما إن يصل إلى الجرح والتعديل وحال الراوي حتّى تراه مقلّداً في ذلك ، سيّما عند العامّة ، وهذا في الواقع تقليد وليس اجتهاداً .

إنّ الانفتاح على مناهج البحث الرجالي التي أشرنا إليها في كتابنا الرجالي يحافظ على التراث بشكل علمي تحقيقي ، وممّا يجب الانتباه إليه ، أنّه لا يصحّ أن نعتمد على تضعيف ابن الغضائري أو غيره ، دون الاطّلاع على منشأ التضعيف ، أو أن نعتمد على قول النجاشي ، والنجاشي ـ قدّس الله سرّه الشريف ـ له الشكر الجزيل على خدماته التي أسداها لمذهب أهل البيت ﵈ ، ولكنّنا لا يصحّ أن نجعل من مبانيه ﵀ في علم الكلام ، والتي لم تكن متوسّعة ، وإنّما كانت مقتضبة جدّاً معياراً وصائيّاً على تراث أهل البيت ﵈ ، وبأيّ ميزان نجعل النجاشي ﵀ ـ بما أُوتي من مستوى علمي في علم الكلام ـ يُعيِّر ويَزِن لنا ؟ وهو نفسه ﵀ لم يقل : « قلّدوني وسدّوا باب الاجتهاد في علم الرجال » .

لذلك فإنّنا عندما نقف على تضعيف رجالي معيّن فلا يعني ذلك الالزام بهذه الفتوى الرجاليّة ، بل لا بدّ لنا من دراسة منشأ التضعيف الذي استُند إليه في هذه الفتوى ، وتقييم صحّته أو بطلانه .

وهذا هو ما يُقال عنه « الاجتهاد في علم الرجال » ، وإلّا فإنّه يكون « تقليداً في علم الرجال » ، والتقليد في علم الرجال يعني جعل

الوصاية على التراث الديني لثلّة قليلة ، وهذا أمر خطير يقتضي سدّ باب الاجتهاد ، وسدّ باب التحقيق والتدقيق ، وهي ظاهرة موجودة أكثر وأشدّ عند العامّة في علم الرجال .

فحذار من التقليد في فتاوى علم الرجال ، بل إنّ اللازم هو الاجتهاد في التوثيق وفي الجرح والتعديل ، وهذا باب شاقّ بالطبع ، فالاجتهاد والتحقيق هو شاقّ في نفسه ، بخلاف التقليد الذي هو استراحة يقصدها من لا يحبّ التعب ويخلد إلى الراحة . ولا يصحّ أن يلزم الطرف الآخر بمجرّد فتوى رجاليّة ، فضلاً عن كون الرجل مهملاً أو غير مطعون فيه أو بلا توثيق ، فالحال فيه أدعى للزوم الفحص والاجتهاد في حاله كما في المقام .

ومن هنا نقول : إنّ المعترضين على الزيارة الجامعة يحتجّون بأنّ سندها غير صحيح ، وذلك لوجود موسى بن عمران النخعي ، وهو مجهول أو ضعيف ، وهذا الاعتراض غير صحيح .

في البداية يجب أن نعرف موسى النخعي الوارد في سند الزيارة ، ففي سند الشيخ الصدوق ﵀ في الفقيه ذكر (موسى بن عبدالله)[١] ، وفي العيون ذكر (موسى بن عمران)[٢] ، ولم يرد ذكر للأوّل إلّا في

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢/٦٠٩ .

(٢) عيون أخبار الرضا ﵇ : ١/٣٠٥ .

رواية الفقيه هذه فقط ، ومن رواها عنه تبعاً له كالشيخ الطوسي ﷺ في التهذيب[(١)] ، بينما الثاني هو المعروف ، والذي يروي عنه محمّد بن أبي عبدالله الكوفي الثقة ، قال عنه النجاشي : « هو محمّد بن جعفر الكوفي الأسدي المعروف بمحمّد بن أبي عبدالله ، وهو المعروف أيضاً بأبي الحسين الكوفي عند النجاشي ، وأبي الحسين الأسدي عند الشيخ الطوسي ﷺ ، وقد ذكر الشيخ في الغيبة أنّه من الأقوام الثقات الذين ترد عليهم التوقيعات من النوّاب الأربعة » .

و(موسى بن عبدالله) و (موسى بن عمران النخعي) متّحد ، وعبدالله اسم لجدّه أي هو (موسى بن عمران بن عبدالله النخعي) ، والقرينة على ذلك أنّه موسى بن عمران النخعي عمّه الحسين بن يزيد النوفلي الذي يكثر الرواية عنه جدّاً ، ويصرّح بوصفه (عمّه) ، والحسين بن يزيد النوفلي قد صرّح باسم جدّه أنّه (عبدالله) في روضة الكافي[(٢)] .

والظاهر أنّه جدّ عمّه وأبيه . نعم ، في طريق ذلك الحديث (محمّد بن عبدالله ـ وهو الأسدي ـ ، عن موسى بن عمران ، عن عمّه الحسين بن عيسى بن عبدالله ، عن عليّ بن جعفر) ، والظاهر وقوع

(١) تهذيب الأحكام : ٩٥/٦ .

(٢) الكافي : ١٥٢/٨ ، الحديث ١٤١ .

تصحيف في اسم والد عمّه ، أي لفظ (ابن عيسى) أنّه (ابن يزيد) ، أي عن عمّه الحسين بن يزيد بن عبدالله ، والتصحيف قريب في الرسم ، وقد وقع نظير ذلك كثيراً في اسم عمّه ، ففي بعض الطرق (الحسن بن يزيد) وبعضها (الحسين بن زيد) أو (الحسن بن زيد) وهو تصحيف معهود في النسخ والطرق ، هذا مضافاً إلى أنّ وحدة الطريق للصدوق تقتضي وحدة الراوي أيضاً .

ثمّ إنّ موسى بن عمران النخعي كما يظهر من تتبّع رواياته المتكاثرة في كتب الصدوق وغيره :

أوّلاً : إنّه تلميذ عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، وأغلب رواياته عنه ، وقد اعتمد توثيقه الشيخ في عدّة الأُصول ـ كما يأتي ـ وأنّه من الأجلاّء .

ثانياً : إنّه أُستاذ وشيخ أبي الحسين محمّد بن أبي عبدالله جعفر بن عون الأسدي الكوفي الذي قال عنه الطوسي : « وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قِبل المنصوبين للسفارة من الأصل ، منهم أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي » ، كما أنّ أغلب رواياته يرويها الأسدي هذا .

ثالثاً : إنّه قد اعتمده الصدوق في كتاب كمال الدين والتوحيد والخصال والعلل والفقيه وثواب الأعمال وصفات الشيعة والأمالي ،

وأكثر من رواياته ، كما اعتمده في مشيخة الفقيه في طريقه إلى يحيى بن عبّاد المكّي . وكذلك في طريقه إلى الحديث عن سليمان بن داود في معنى قوله تعالى : ﴿ **فَطَفِقَ مَسْحاً** ... ﴾[١] .

رابعاً : إنّ غالب رواياته بالطريق المتكرّر ، وهو محمّد بن أبي عبدالله (الأسدي) ، عن موسى بن عمران ، عن عمّه الحسين بن يزيد هي في تحف المسائل الاعتقاديّة ولطائف المعارف ، بل جلّ رواياته بغير هذا الطريق أيضاً هي في نكات المعرفة في الأُصول الاعتقاديّة ، كما يشهد لذلك التتبّع لجميع رواياته ، وهي تظهر بوضوح مستوى رفيع في العلم مستقيم العقيدة ، وعلى نمط رائق ظريف في معاني المعرفة .

خامساً : إنّه وتبعاً لأُستاذه وهو عمّه الحسين بن يزيد النوفلي كان منفتحاً على عدّة مشارب في تيّارات الرواة من الإماميّة ، فهو يروي بتوسّط عمّه عن فقهاء الرواة ، وكذلك يروي عن رواة أسرار المعارف كالمفضّل بن عمر ومحمّد بن سنان ، ويروي عن متكلّمي الرواة وغيرهم .

سادساً : اعتمد رواياته أيضاً الكليني في أُصول الكافي ، وابن

---

(١) ص ٣٨ : ٣٣ .

قولويه في كامل الزيارات ، وعليّ بن محمّد القمّي في كفاية الأثر .

ثمّ إنّ هناك وجوه أُخرى لاعتبار حاله :

الأوّل : موسى الراوي لأغلب روايات عمّه النوفلي

وأمّا موسى بن عمران فهو ابن أخ الحسين بن يزيد النوفلي ، والنوفلي وثّقه الشيخ الطوسي في العدّة والسيّد الخوئي وجماعة غيرهم لقول الشيخ الطوسي في العدّة : « عملت الطائفة بروايات السكوني »[١] .

والراوي لأغلب روايات السكوني هو الحسين بن يزيد النوفلي ، فيقتضي ذلك توثيق الطائفة له ، مضافاً لتعبير النجاشي بأنّ الحسين بن يزيد النوفلي : « نوفل النخع »[٢] ، أي وجيه قبيلة النخع والموجّه فيهم ، أو الذي يذكر بالجميل والحسن . وقبيلة النخع من القبائل الشيعيّة الكبيرة في الكوفة ، فمع هذا الوصف تظهر مكانة موسى بن عمران النخعي ، حيث أنّ عمّه هو النوفلي ، بل وأُستاذه ، فقد روى عن عمّه أكثر من (٢٠٠) رواية ، ممّا يظهر تتلمذه عليه ، واختصاصه

---

(١) عدّة الأُصول : ١/٣٨٠ .

(٢) رجال النجاشي : ٧٧ .

به ، فضلاً عن غيره ، فهو كثير الرواية في كتب الأصحاب المعتمدة ، بل إنّ الحسين بن يزيد تطّرد فيه وجوه التوثيق المتقدّمة في ابن أخيه موسى بن عمران ،كما لا يخفى .

الثاني : روايات النوفلي جلّها في المعارف

مضافاً إلى أنّ متون الروايات التي يرويها موسى بن عمران عن عمّه ، جلّها في فرائد المعارف ، وهي صحيحة المضمون ، مستقيمة المعنى ، وفق أُصول وقواعد معارف المذهب عند المتأخّرين ، بل إنّ جملة منها ممّا يدلّ على رفعة مقامه ، وطول باعه ، وتمكّنه وتضلّعه في المعارف ، ممّا يكشف عن كونه من فرسان الميدان ، وأوتاد الرواة ، وحملة هذه الأسرار .

الثالث : اعتماد الأعلام على رواياته

وقد اعتمد رواياته ـ لا سيّما في المعارف ـ أعلام الطائفة ، كالكليني في الكافي ، والصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام والتوحيد ، وغيرهما ، بل ووقع في مشيخته فروى عنه في أكثر من ثمانين مورداً .

وقد روى عن :

١ ـ عمّه الحسين بن يزيد النوفلي (ثقة) .

٢ ـ ابن أبي عمير (من أصحاب الإجماع) .

٣ ـ الحسن بن محبوب (من أصحاب الإجماع) .

٤ ـ عبدالله بن الحجّال (ثقة جليل) .

٥ ـ إبراهيم بن الحكم بن ظهير .

٦ ـ الحسين بن سعيد الأهوازي (ثقة جليل)[١] .

٧ ـ صفوان بن مهران الجمّال (ثقة) .

وروى رواياته عنه :

١ ـ محمّد بن جعفر أبي عبدالله الكوفي الأسدي (ثقة)[٢] .

٢ ـ محمّد بن يحيى العطّار (ثقة) ، وكذا أبوه .

٣ ـ محمّد بن موسى بن المتوكّل (ثقة على الأصحّ) .

٤ ـ عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق (ترضّى عليه الصدوق) .

---

(١) التهذيب : ١/٢٥٩ .

(٢) قال الشيخ رحمه الله في الغيبة : ٤١٥ : «وقد كان في زمان السفراء المحمودين أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قِبل المنصوبين للسفارة من الأصل ، منهم أبو الحسين محمّد بن جعفر الأسدي رحمه الله » .

٥ـ عليّ بن عبدالله الورّاق (ترضّى عليه الصدوق).

٦ـ محمّد بن أحمد السناني (ثقة).

٧ـ محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي (ثقة)، كما في العيون للصدوق.

صحّة سند الزيارة

إذا ما لاحظنا سند الزيارة الجامعة الكبيرة فإنّا سنجده صحيحاً إلى موسى بن عمران، وهذا هو أحد الأدلّة على وثاقة الراوي موسى بن عمران بن يزيد النخعي (رحمه الله).

قال الشيخ الصدوق (رحمه الله): « حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق (رضي الله عنه) ومحمّد بن أحمد السناني وعليّ بن عبدالورّاق والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي وأبو الحسين الأسدي، قالوا: حدّثنا محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي، قال: حدّثنا موسى بن عمران النخعي»[1].

الرابع: سؤال للإمام الهادي (عليه السلام)

سؤاله للإمام الهادي (عليه السلام) بقوله: « علّمني - يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) -

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٣٠٥/١.

قولاً بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم »، هو نفسه دليل على مقام معرفته بالأئمّة (عليهم السلام)، وأنّ لهم شؤوناً متّحدةً، ومقاماتٍ متّبعةً، وأنّ نور الإمامة ومقام الخلافة شيء واحد.

الخامس: بيان الإمام الهادي (عليه السلام)

بيان الإمام لمثل هذا المتن لموسى بن عمران يدلّ على مكانته في معرفة مقاماتهم وأسرارهم (عليهم السلام)، وذلك نظير ما اعتمدوه في اعتبار حال عمر بن حنظلة[1]، فأسئلة وأجوبة الإمام له تدلّ على علوّ مقامه العلمي وجلالته، وهي قرينة متينة معتمدة.

مضامين الزيارة الجامعة

علوّ مضامين الزيارة من حيث جزالة المعنى وجزالة اللفظ والتراكيب، كلّها تدلّ على قوّة مضمون الزيارة، وأنّها في مصاف أعالي متون الروايات الصادرة منهم (عليهم السلام)، كما أنّ مضامينها وبنودها كقواعد في معرفتهم قد ورد بمضمونها الروايات المستفيضة في أبواب المعارف، وإن اختلف اللفظ في بعضها، لكن لباب المعنى ومآله واحد.

(١) قد ذكرنا في رسالة خاصّة جلالة حاله ضمن كتاب (هيويات فقهيّة). انظر معجم رجال الحديث: ٢٧/١٣، رقم ٨٧٢٣.

متون رواياته في المعارف

نبذة بارزة من متون الروايات التي ينقلها موسى بن عمران في المعارف ، بلحاظ معارف الأئمّة عليهم السلام ، ونذكر بعضها :

١ ـ الصدوق رحمه الله في التوحيد ، قال : حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد ابن عمران الدقّاق رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي الكوفي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن عليّ بن الحسين ، عمّن حدّثه ، عن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « **إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : أنا علم الله ، وأنا قلب الله الواعي ، ولسان الله الناطق ، وعين الله ، وجنب الله ، وأنا يد الله** »(١).

٢ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد

(١) التوحيد : ١٦٤ .

وعلّق عليه الشيخ الصدوق رحمه الله بقوله : « معنى قوله عليه السلام : **وأنا قلب الله الواعي** ، أي أنا القلب الذي جعله الله وعاءً لعلمه ، وقلبه إلى طاعته ، وهو قلب مخلوق لله عزّ وجلّ كما هو عبدالله عزّ وجلّ ، ويقال : قلب الله كما يقال : عبدالله وبيت الله وجنّة الله ونار الله ، وأمّا قوله : **عين الله** ، فإنّه يعني به الحافظ لدين الله ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر ٥٤ : ١٤] أي بحفظنا ، وكذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه ٢٠ : ٣٩] معناه على حفظي » .

ابن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن جبير ، عن عبدالله بن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض اطّلاعة فاختارني منها فجعلني نبيّاً ، ثمّ اطّلع الثانية فاختار منها عليّاً فجعله إماماً ، ثمّ أمرني أن أتّخذه أخاً ووليّاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً ، فعليّ منّي وأنا من عليّ ، وهو زوج ابنتي وأبو سبطيّ الحسن والحسين .**

ألا وإنّ الله تبارك وتعالى جعلني وإيّاهم حججاً على عباده ، وجعل من صلب الحسين أئمّة يقومون بأمري ، ويحفظون وصيّتي ، التاسع منهم قائم أهل بيتي ، ومهديّ أُمّتي ، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله ، يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة ، فيعلن أمر الله ، ويظهر دين الله عزّ وجلّ ، يؤيّد بنصر الله ، وينصر بملائكة الله ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً »(١).

٣ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد ابن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ،

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٥٧ و ٢٥٨ .

عن الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **حدّثني جبرئيل عن ربّ العزّة جلّ جلاله أنّه قال : من علم أن لا إلٰه إلّا أنا وحدي ، وأنّ محمّداً عبدي ورسولي ، وأنّ عليّ بن أبي طالب خليفتي ، وأنّ الأئمّة من ولده حججي أدخله الجنّة برحمتي ، ونجّيته من النار بعفوي ، وأبحت له جواري ، وأوجبت له كرامتي ، وأتممت عليه نعمتي ، وجعلته من خاصّتي وخالصتي ، إن ناداني لبّيته ، وإن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته ، وإن أساء رحمته ، وإن فرّ منّي دعوته ، وإن رجع إليّ قبلته ، وإن قرع بابي فتحته ، ومن لم يشهد أن لا إلٰه إلّا أنا وحدي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ محمّداً عبدي ورسولي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ عليّ بن أبي طالب خليفتي ، أو شهد بذلك ولم يشهد أنّ الأئمّة من ولده حججي ، فقد جحد نعمتي ، وصغّر عظمتي ، وكفر بآياتي وكتبي ، إن قصدني حجبته ، وإن سألني حرمته ، وإن ناداني لم أسمع نداءه ، وإن دعاني لم أستجب دعاءه ، وإن رجاني خيّبته ، وذلك جزاؤه منّي وما أنا بظلّامٍ للعبيد .**

فقام جابر بن عبدالله الأنصاري فقال : يا رسول الله ، ومن الأئمّة من ولد عليّ بن أبي طالب ؟

قال : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، ثمّ سيّد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين ، ثمّ الباقر محمّد بن عليّ ، وستدركه يا جابر ، فإذا أدركته فأقرئه منّي السلام ، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد ، ثمّ الكاظم موسى بن جعفر ، ثمّ الرضا عليّ بن موسى ، ثمّ التقيّ محمّد بن عليّ ، ثمّ النقيّ عليّ بن محمّد ، ثمّ الزكيّ الحسن بن عليّ ، ثمّ ابنه القائم بالحقّ مهديّ أُمّتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

هؤلاء - يا جابر - خلفائي وأوصيائي وأولادي وعترتي ، من أطاعهم فقد أطاعني ، ومن عصاهم فقد عصاني ، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني ، بهم يمسك الله عزّ وجلّ السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه ، وبهم يحفظ الله الأرض أن تميد بأهلها »[1] .

٤ - حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : « إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : **إليّ يا بنيّ** ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليمنى .

ثمّ أقبل الحسين عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : **إليّ يا بنيّ** ، فما زال

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٢٥٨ و ٢٥٩ .

يدنيه حتّى أجلسه على فخذه اليسرى .

ثمّ أقبلت فاطمة عليها السلام ، فلمّا رآها بكى ، ثمّ قال : إليّ يا بنيّة ، فأجلسها بين يديه .

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا رآه بكى ، ثمّ قال : إليّ يا أخي ، فما زال يدنيه حتّى أجلسه إلى جنبه الأيمن .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما ترى واحداً من هؤلاء إلّا بكيت ، أو ما فيهم من تسرّ برؤيته !

فقال صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالنبوّة ، واصطفاني على جميع البريّة ، إنّي وإيّاهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ ، وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم .

أمّا عليّ بن أبي طالب فإنّه أخي وشقيقي ، وصاحب الأمر بعدي ، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة ، وصاحب حوضي وشفاعتي ، وهو مولى كلّ مسلم ، وإمام كلّ مؤمن ، وقائد كلّ تقيّ ، وهو وصيّي وخليفتي على أهلي وأُمّتي في حياتي وبعد مماتي ، ومحبّه محبّي ، ومبغضه مبغضي ، وبولايته صارت أُمّتي مرحومة ، وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة ، وإنّي بكيت حين أقبل لأنّي ذكرت غدر الأُمّة به بعدي حتّى إنّه ليزال عن مقعدي ، وقد جعله الله له بعدي ، ثمّ لا يزال الأمر به حتّى يضرب على قرنه تخضب منها لحيته في أفضل الشهور شهر رمضان الذي

أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان .

وأمّا ابنتي فاطمة ، فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين ، وهي بضعة منّي ، وهي نور عيني ، وهي ثمرة فؤادي ، وهي روحي التي بين جنبي ، وهي الحوراء الإنسيّة ، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض ، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته : ملائكتي ، انظروا إلى أَمَتي فاطمة سيّدة إمائي ، قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي ، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي ، أُشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النار . وإنّي لمّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ، كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها ، وانتهكت حرمتها ، وغصبت حقّها ، ومنعت إرثها ، وكسر جنبها ، وأسقطت جنينها ، وهي تنادي : يا محمّداه ، فلا تجاب ، وتستغيث فلا تُغاث ، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية ، تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة ، وتتذكّر فراقي أُخرى ، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن ، ثمّ ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيّام أبيها عزيزة ، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة ، فنادتها بما نادت به مريم بنت عمران ، فتقول : يا فاطمة ، ﴿ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .

---

(١) آل عمران ٣: ٤٢.

يا فاطمة ، **﴿ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾**[1] .

ثمّ يبتدئ بها الوجع فتمرض ، فيبعث الله عزّ وجلّ إليها مريم بنت عمران تمرّضها وتؤنسها في علّتها ، فتقول عند ذلك : يا ربّ ، إنّي قد سئمت الحياة ، وتبرّمت بأهل الدنيا ، فألحقني بأبي ، فيلحقها الله عزّ وجلّ بي ، فتكون أوّل من يلحقني من أهل بيتي ، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة ، فأقول عند ذلك : اللّهمّ العن من ظلمها ، وعاقب من غصبها ، وأذلّ من أذلّها ، وخلد في نارك من ضرب جنبها حتّى ألقت ولدها ، فتقول الملائكة عند ذلك : آمين .

وأمّا الحسن ، فإنّه ابني وولدي ، وبضعة منّي ، وقرّة عيني ، وضياء قلبي ، وثمرة فؤادي ، وهو سيّد شباب أهل الجنّة ، وحجّة الله على الأُمّة ، أمره أمري ، وقوله قولي ، من تبعه فإنّه منّي ، ومن عصاه فليس منّي ، وإنّي لمّا نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذلّ بعدي ، فلا يزال الأمر به حتّى يقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً ، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ، ويبكيه كلّ شيء حتّى الطير في جوّ السماء ، والحيتان في جوف الماء ، فمن بكاه لم تعمِ عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام .

(١) آل عمران ٣: ٤٣.

وأمّا الحسين ، فإنّه منّي ، وهو ابني وولدي ، وخير الخلق بعد أخيه ، وهو إمام المسلمين ، ومولى المؤمنين ، وخليفة ربّ العالمين ، وغياث المستغيثين ، وكهف المستجيرين ، وحجّة الله على خلقه أجمعين ، وهو سيّد شباب أهل الجنّة ، وباب نجاة الأُمّة ، أمره أمري ، وطاعته طاعتي ، من تبعه فإنّه منّي ، ومن عصاه فليس منّي ، وإنّي لمّا رأيته تذكّرت ما يصنع به بعدي ، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار ، فأضمّه في منامه إلى صدري ، وآمره بالرحلة عن دار هجرتي ، وأُبشّره بالشهادة ، فيرتحل عنها إلى أرض مقتله ، وموضع مصرعه أرض كرب وبلاء ، وقتل وفناء ، تنصره عصابة من المسلمين ، أُولئك من سادة شهداء أُمّتي يوم القيامة ، كأنّي أنظر إليه وقد رمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً ، ثمّ يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً .

ثمّ بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله ، وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، ثمّ قال ﷺ وهو يقول : **اللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي بعدي** ، ثمّ دخل منزله »[1] .

٥ ـ حدّثنا الشيخ الفقيه أبو جعفر ﵀ ، قال : حدّثنا محمّد بن أحمد السناني ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، عن موسى بن

(١) أمالي الصدوق : ١٧٤ ـ ١٧٧ ، الحديث ٢.

عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن ثابت بن دينار ، قال : « سألت زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟

فقال : **تعالى الله عن ذلك .**

قلت : فلِمَ أسرى بنبيّه محمّد ﷺ إلى السماء ؟

قال : **ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه .**

قلت : فقول الله عزّ وجلّ : **﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾**[1] ؟

قال : **ذاك رسول الله ﷺ ، دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ، ثمّ تدلّى ﷺ فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتّى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى »**[2] .

٦ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبي

(١) النجم ٥٣ : ٨ و ٩ .

(٢) علل الشرائع : ١٣١:١ و ١٣٢ . أمالي الصدوق : ٢١٤ ، الحديث ٢٢ .

بصير ، قال : « قال الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام : **من أقام فرائض الله ، واجتنب محارم الله ، وأحسن الولاية لأهل بيت نبيّ الله ، وتبرّأ من أعداء الله عزّ وجلّ ، فليدخل من أيّ أبواب الجنّة الثمانية شاء »**[1] .

٧ـ حدّثنا محمّد بن أحمد السنائي رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله ﷺ : **قال الله جلّ جلاله : لو اجتمع الناس كلّهم على ولاية عليّ ما خلقت النار »**[2] .

٨ـ حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدّب رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن جعفر الأسدي الكوفي ، قال : حدّثني موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن عليّ عليهم السلام ، قال : « **قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليّ على ناقة من نور ، وعلى رأسك تاج له أربعة أركان ، على كلّ ركن**

(١) أمالي الصدوق : ٥٦١ .

(٢) أمالي الصدوق : ٧٥٥ .

ثلاثة أسطر: لا إلـه إلّا الله ، محمّد رسـول الله ، علـيّ وليّ الله ، وتـعطى مفاتيح الجنّة ، ثمّ يوضع لك كرسي يعرف بكرسي الكرامة فتقعد عليه ، ثمّ يجمع لك الأوّلون والآخرون في صعيد واحد ، فتأمر بشيعتك إلى الجنّة ، وبأعدائك إلى النار ، فأنت قسيم الجنّة ، وأنت قسيم النار ، ولقد فاز من تولّاك ، وخسر من عاداك ، فأنت في ذلك اليوم أمين الله ، وحجّة الله الواضحة »[١].

٩ ـ روى محمّد بن أبي عبدالله الأسدي الكوفي ، عن موسى بن عمران ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة حديث تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ** ﴾[٢] بالإمامة ، **جعلها الله عزّ وجلّ في عقب الحسين** عليه السلام **باقية إلى يوم القيامة** »[٣].

١٠ ـ وروى محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن يحيى بن أبي القاسم ، عن الصادق جعفر بن

(١) معاني الأخبار: ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) الزخرف ٤٣: ٢٨.

(٣) معاني الأخبار: ١٣١ و ١٣٢.

محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : « **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله **: الأئمّة بعدي اثنا عشر أوّلهم عليّ بن أبي طالب ، وآخرهم القائم ، فهم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على اُمّتي بعدي ، المقرُّ بهم مؤمن ، والمنكر لهم كافر** »[١].

١٢ ـ عن محمّد بن أحمد السناني رضي الله عنه ، عن محمّد بن أبي عبدالله الأسدي الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام ، قال : **إنّ الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ، ولا مكان ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال ، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً** »[٢].

١٣ ـ حدّثنا محمّد بن أحمد السناني رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الأسدي الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن سعد بن طريف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : **يا عليّ ، أنت إمام المسلمين ، وأمير المؤمنين ، وقائد الغرّ**

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٩. من لا يحضره الفقيه: ١٧٩/٤.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٥٣.

المحجّلين ، وحجّة الله بعدي على الخلق أجمعين ، وسيّد الوصيّين ، ووصيّ سيّد النبيّين .

يا عليّ ، إنّه لمّا عرج بي إلى السماء السابعة ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور ، وأكرمني ربّي جلّ جلاله بمناجاته ، قال لي : يا محمّد ؟

قلت : لبّيك ربّي وسعديك ، تباركت وتعاليت .

قال : إنّ عليّاً إمام أوليائي ، ونور لمن أطاعني ، وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين ، من أطاعه أطاعني ، ومن عصاه عصاني ، فبشّره بذلك .

فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ، بلغ من قدري حتّى إنّي أُذكر هناك !

فقال : نعم يا عليّ ، فاشكر ربّك ، فخرّ عليّ عليه السلام ساجداً شكراً لله على ما أنعم به عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : ارفع رأسك يا عليّ ، فإنّ الله قد باهى بك ملائكته »(١) .

١٤ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد ابن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن ثابت

(١) أمالي الصدوق : ٣٧٥ .

ابن أبي صفيّة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **من سرّه أن يجمع الله له الخير كلّه فليوال عليّاً بعدي ، وليوال أولياءه ، وليعاد أعداءه »**(١) .

١٥ ـ حدّثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي رحمه الله ، قال : حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن يحيى بن أبي إسحاق ، عن الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أبيه عليهم السلام ، قال : « سئل النبيّ صلى الله عليه وآله : **أين كنت وآدم في الجنّة ؟**

قال : كنت في صلبه ، وهبط بي إلى الأرض في صلبه ، وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف بي في النار في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق لي أبوان على سفاح قطّ ، ولم يزل الله عزّ وجلّ ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة هادياً مهديّاً حتّى أخذ الله بالنبوّة عهدي ، وبالإسلام ميثاقي ، وبيّن كلّ شيء من صفتي ، وأثبت في التوراة والإنجيل ذكري ، ورقى بي إلى سمائه ، وشقّ لي اسماً من أسمائه

(١) أمالي الصدوق : ٥٦٠ .

الحسنى ، أُمّتي الحمّادون ، فذو العرش محمود وأنا محمّد »[١] .

١٦ ـ حدّثنا محمّد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن عليّ بن سالم ، عن أبيه ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن سعد الخفّاف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن عبدالله ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **لمّا عرج بي إلى السماء السابعة ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومن السدرة إلى حجب النور ، ناداني ربّي جلّ جلاله : يا محمّد ، أنت عبدي وأنا ربّك ، فلي فاخضع ، وإيّاي فاعبد ، وعلَيَّ فتوكّل ، وبي فثق ، فإنّي قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبيّاً .**

وبأخيك عليّ خليفة وباباً ، فهو حجّتي على عبادي ، وإمام لخلقي ، به يعرف أوليائي من أعدائي ، وبه يميّز حزب الشيطان من حزبي ، وبه يقام ديني ، وتحفظ حدودي ، وتنفذ أحكامي ، وبك وبه وبالأئمّة من ولده أرحم عبادي وإمائي .

وبالقائم منكم أُعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي ، وبه أُطهّر الأرض من أعدائي ، وأُورثها أوليائي ، وبه أجعل

(١) أمالي الصدوق : ٧٢٣ ، الحديث ١ . معاني الأخبار : ٥٥ ، الحديث ٢ .

كلمة الذين كفروا بي السفلى ، وكلمتي العليا ، وبه أُحيي عبادي وبلادي بعلمي ، وله أُظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي ، وإيّاه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي ، وأمدّه بملائكتي لتؤيّده على إنفاذ أمري ، وإعلان ديني ، ذلك وليّي حقّاً ، ومهدي عبادي صدقاً »[١] .

١٧ ـ حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة ، عن أبيه ، قال : « سألت أبا عبدالله عليه السلام : لأيّ علّة دفنت فاطمة عليها السلام بالليل ولم تدفن بالنهار ؟

قال : **لأنّها أوصت أن لا يصلّي عليها الرجلان »**[٢] .

١٨ ـ حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى رضي الله عنه ، قال : حدّثنا محمّد بن أبي عبدالله الكوفي ، قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمّه الحسين بن يزيد ، عن عليّ بن أبي حمزة ، عن يحيى بن أبي القاسم ، قال : « سألت الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **الٓمٓ * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ**

(١) أمالي الصدوق : ٧٣١ .

(٢) علل الشرائع : ١/١٨٥ .

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾[١].

فقال: المتّقون شيعة عليّ عليه السلام، والغيب فهو الحجّة الغائب، وشاهد ذلك قول الله عزّ وجلّ: **﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِن رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾**[٢]، فأخبر عزّ وجلّ أنّ الآية هي الغيب، والغيب هو الحجّة، وتصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ: **﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾**[٣] يعني حجّة»[٤].

ومن الروايات المميّزة التي رواها بالسند المعروف المتكرّر عن ابن عبّاس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ظلامة فاطمة، وغصبها حقّها، وضرب جنبها، وإسقاط جنينها، رواه الصدوق في الأمالي[٥].

والحموي في فرائد السمطين[٦].

وغيرها من الروايات، وهي دالّة على روايته لغوامض المعارف ولبابها.

---

(١) البقرة ٢: ١ ـ ٣.

(٢) يونس ١٠: ٢٠.

(٣) المؤمنون ٢٣: ٢٥.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٧.

(٥) أمالي الصدوق: ١١٢، المجلس الرابع والعشرون، الحديث ٢.

(٦) فرائد السمطين: ٣٤/٢، الحديث ٣٧١.

السادس: توثيق الأعلام للنخعي واعتمادهم واستشهادهم بالزيارة

توثيق العلماء لموسى بن عمران النخعي، فقد وثّقه السيّد الخوئي قدس سره (المتوفّى سنة ١٤١٣هـ) لروايته عن تفسير القمّي[١].

وقال فيه المامقاني قدس سره (المتوفّى سنة ١٣٥١هـ): «وفي روايته لها دلالة واضحة على كونه إماميّاً صحيح الاعتقاد، بل في تلقين مولانا الهادي عليه السلام شهادة على كون الرجل من الحسان مقبول الرواية لهم، وعدم ذكره في كتاب الرجال غير قادح فيه»[٢].

أقوال العلماء في سند ومتن الزيارة

يقول العلّامة المجلسي قدس سره (المتوفّى سنة ١١١١هـ): «إنّما هي أرقى الزيارات الجامعة متناً وسنداً، وهي أفصحها وأبلغها»[٣].

ويقول المولى محمّد تقي المجلسي قدس سره في شرح الفقيه (المتوفّى سنة ١٠٧٠): «والزيارات لأمير المؤمنين ولباقي الأئمّة عليهم السلام كثيرة كثرة، أحسنها الزيارة الجامعة التي سنذكرها مشروحة»[٤].

---

(١) معجم رجال الحديث: ٦٦/٢٠.

(٢) تنقيح المقال: ٢٥٧/٣.

(٣) مفاتيح الجنان: ٦٢٦.

(٤) روضة المتّقين: ٤٢٤/٥.

وقال أيضاً: «وانّها أكمل الزيارات وأحسنها، بل بعد تلك الرؤيا أكثر الأوقات أزور الأئمّة عليهم السلام بهذه الزيارة، وفي العتبات العاليات ما زرتهم إلّا بهذه الزيارة»(١).

وكان ذلك بعد مكاشفته اللطيفة التي يقول فيها: «ولمّا وفّقني الله تعالى لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وشرعت في حوالي الروضة المقدّسة في المجاهدات، وفتح الله تعالى علَيَّ ببركة مولانا عليه السلام أبواب المكاشفات التي لا تحتملها العقول الضعيفة، رأيت في ذلك العالم (وإن شئت قلت بين النوم واليقظة) عندما كنت في رواق عمران جالساً إنّي بسرّ من رأى (سامرّاء)، ورأيت مشهدهما في نهاية الارتفاع والزينة، ورأيت على قبرهما لباساً أخضر من لباس الجنّة، لأنه لم أرَ مثله في الدنيا، ورأيت مولانا ومولى الأنام صاحب العصر والزمان عليه السلام جالساً، ظهره على القبر ووجهه إلى الباب، فلمّا رأيته شرعت في هذه الزيارة بالصوت المرتفع كالمدّاحين، فلمّا أتممتها قال عليه السلام: **نعمة الزيارة**.

قلت: مولاي روحي فداك، زيارة جدّك؟ (وأشرت نحو القبر).

فقال: **نعم، ادخل**، فلمّا دخلت وقفت قريباً من الباب.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٦٢٦. روضة المتّقين: ٤٥٢/٥.

فقال عليه السلام: **تقدّم**.

فقلت: مولاي أخاف أن أصير كافراً بترك الأدب.

فقال عليه السلام: **لا بأس إذا كان بإذننا**، فتقدّمت قليلاً وكنت خائفاً مرتعشاً.

فقال: **تقدّم.. تقدّم**، حتّى صرت قريباً منه عليه السلام.

قال: **اجلس**.

قلت: أخاف مولاي.

قال عليه السلام: **لا تخف**. فلمّا جلست جلسة العبيد بين يدي المولى الجليل، قال عليه السلام: **استرح واجلس مربعاً، فإنّك تعبت، جئت ماشياً حافياً**.

والحاصل أنّه وقع منه عليه السلام بالنسبة إلى عبده ألطاف عظيمة ومكالمات لطيفة لا يمكن عدّها ونسيت أكثرها.

ثمّ انتبهت من تلك الرؤيا، وحصل في اليوم أسباب الزيارة بعد كون الطريق مسدودة في مدّة طويلة، وبعد ما حصل الموانع العظيمة ارتفعت بفضل الله وتيسّرت الزيارة بالمشي والحفا، كما قاله الصاحب عليه السلام.

وكنت ليلة في الروضة المقدّسة وزرت مكرّراً بهذه الزيارة، وظهر

في الطريق وفي الروضة كرامات عجيبة ، بل معجزات غريبة يطول ذكرها ، فالحاصل أنّه لا شكّ لي أنّ هذه الزيارة من أبي الحسن الهادي عليه السلام ـ بتقرير الصاحب عليه السلام ـ وأنّها أكمل الزيارات وأحسنها ، بل بعد تلك الرؤيا أكثر الأوقات أزور الأئمّة عليهم السلام بهذه الزيارة ، وفي العتبات العاليات ما زرتهم إلّا بهذه الزيارة »(١) .

ويقول العلّامة السيّد عبدالله شبّر رحمه الله (المتوفّى سنة ١٢٤٢هـ) : « لا يخفى على أُولي البصائر النقّادة ، وأرباب الأذهان الوقّادة ، وذوي العقول السليمة ، وأصحاب الأفهام المستقيمة ، أنّ الزيارة الجامعة الكبيرة أعظم الزيارات شأناً ، وأعلاها مكانةً ومكاناً ، وأنّ فصاحة ألفاظها وفقراتها ، وبلاغة مضامينها وعباراتها ، تنادي بصدورها من عين صافية نبعت عن (ينابيع الوحي) والإلهام ، وتدعو إلى أنّها خرجت من ألسنة نواميس الدين ومعاقل الأنام ، فإنّها فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق الملك العلّام ، قد اشتملت على الإشارة إلى جملة من الأدلّة والبراهين المتعلّقة بمعارف (أُصول الدين) ، وأسرار الأئمّة الطاهرين ، ومظاهر صفات (ربّ العالمين) ، وقد احتوت على رياض نضرة ، وحدائق خضرة ، مزيّنة بأزهار المعارف والحكمة ، محفوفة بثمار أسرار أهل بيت العصمة ، وقد تضمّنت شطراً

(١) روضة المتّقين : ٥/٤٥٢ .

وافراً من حقوق أُولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ، وأهل البيت الذين حثّ الله على متابعتهم ، وذوي القرب الذين أمر الله بمودّتهم ، وأهل الذكر الذين أمر الله بمسألتهم ، مع الإشارة إلى آيات فرقانيّة ، وروايات نبويّة ، وأسرار إلـٰهيّة ، وعلوم غيبيّة ، ومكاشفات حقّيّة ، وحكم » .

إلى أن قال : « اعلم أنّ هذه الزيارة قد رواها جملة من أساطين الدين ، وحملة علوم الأئمّة الطاهرين ، وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وجواهر مبانيها ، وأنوار معانيها ، دلائل حقّ ، وشواهد صدق ، على صدورها عن صدور حملة العلوم الربّانيّة ، وأرباب الأسرار الفرقانيّة ، المخلوقين من الأنوار الإلـٰهيّة ، فهي كسائر كلامهم الذي يغني فصاحة مضمونة ، وبلاغة مشحونة عن ملاحظة سنده ، كنهج البلاغة والصحيفة السجّاديّة ، وأكثر الدعوات والمناجات »(١) .

استشهاد العلماء بالزيارة

ما فتئ العلماء يعتمدون على الاستشهاد بالزيارة الجامعة ، ونذكر ما قاله بعض منهم على سبيل المثال لا الحصر :

قال السيّد شرف الدين الحسيني رحمه الله (المتوفّى نحو سنة ٩٦٥هـ)

(١) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة : ٢٩ ـ ٣١ .

في تأويل الآيات الواردة في سورة الغاشية ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾[1]: عن جميل بن درّاج، قال: «قلت لأبي الحسن (عليه السلام): أحدّثهم بتفسير جابر؟

قال: **لا تحدّث به السفلة فيذيعوه، أما تقرأ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ؟**

قلت: بلى.

قال: **إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأوّلين والآخرين، ولّانا حساب شيعتنا، فما كان بينهم وبين الله حكمنا على الله فيه، فأجاز حكومتنا، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه فوهبوه لنا، وما كان بيننا وبينهم فنحن أحقّ من عفا وصفح.**

ويؤيّد ذلك ما جاء في الزيارة الجامعة المرويّة عن الهادي (عليه السلام)، وهو قوله: **وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ.**

ومعنى هذا التأويل الظاهر: أنّ الضمير في إلينا وعلينا راجع إلى الله تعالى.

وأمّا الباطن: فإنّه راجع إليهم (عليهم السلام)؛ وذلك لأنّهم ولاة أمره ونهيه في الدنيا والآخرة، والأمر كلّه لله، فلمن شاء من خلقه جعله إليه،

(١) الغاشية ٨٨: ٢٥ و ٢٦.

ولا شكّ أنّ رجوع الخلق يوم القيامة إليهم، وحسابهم عليهم، فيُدخلون وليّهم الجنّة، وعدوّهم النار، كما ورد في كثير من الأخبار أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) قسيم الجنّة والنّار»[1].

وقال السيّد صدر الدين الطباطبائي (قدس سره) (المتوفّى سنة ١١٥٤هـ): «وقال (صلى الله عليه وآله): **أنا وعليّ من شجرة واحدة، وسائر الناس من شجر شتّى.**

ولعلّ المعنى بالواحدة ليس المعنى الذي تفيده التاء بمعنى الوحدة الظاهريّة التي مناطها التشخيص الوحداني بحسب الوجود العيني، بل الواحدة الذاتيّة الواقعيّة المعنويّة، التي تشبه أن يكون مضمونه ما في الزيارة الجامعة عطفاً على ما عامله **أشهد أنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض**، وعلى هذا قوله (صلى الله عليه وآله): (**شتّى**) وصف لشجرة باعتبار الكثرة المقابلة لهذه الوحدة، فلا يضادّه التاء»[2].

وقال الشيخ الأنصاري (قدس سره) (المتوفّى سنة ١٢٨٠هـ): «والكلام في الخوارج يظهر ممّا ذكرنا في الناصب فإنّهم أشدّ النواصب، مضافاً إلى إطلاق المشرك عليهم في بعض الأخبار، كما في قوله (عليه السلام) في خارجي

(١) تأويل الآيات: ٧٨٨/٢ ـ ٧٨٩.

(٢) شرح دعاء الندبة: ١٢٩.

دخل عليه : (إنّه مشرك والله) .

وقوله عليه‌السلام في الزيارة الجامعة : **وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ** مع أنّ نجاستهم إجماعيّة »(١) .

وقال الملّا هادي السبزواري قدس‌سره (المتوفّى سنة ١٣٠٠هـ): «وقال ﷺ: **أول ما خلق الله روحي أو عقلي أو نوري** .

وقال : كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين .

والمراد بالأبرار: أصحاب اليمين ، وبالأخيار: المقرّبون ، لكنّهما كالظرف والمجرور، وكالفقير والمسكين ، إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، فمن موارد الاجتماع مثل ما هاهنا ما في الزيارة الجامعة الكبيرة : **وَأَنْتُمْ نُورُ الْأَخْيارِ ، وَهُداةُ الْأَبْرارِ** ، وبمعناه أيضاً قولهم : **حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين** »(٢) .

قال المولى محمّد التبريزي الأنصاري قدس‌سره (المتوفّى سنة ١٣١٠هـ) في معنى تسمية الزهراء عليها‌السلام بالمشكاة ، في تفسيره لآية النور: « والمشكاة هي فاطمة الزهراء عليها‌السلام ، وهذا المصباح يوقد من شجرة الحقيقة المحمّديّة ، وهي الزيتونة المباركة لبركة آثارها ، وعدم تناهي

(١) كتاب الطهارة: ٢/٢٥٨ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى: ١/٢٠٣ .

أطوارها ، وفي الزيارة الجامعة : **السَّلامُ عَلىٰ محالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** ... الخ ، فهي مباركة لإفاضة جميع الفيوضات التشريعيّة والتكوينيّة منها ، وهي الشجرة الكلّيّة النابتة في مقام (أو أدنى) ، وبيداء الإبداع والاختراع ، وصحراء المشيئة والإرادة ، لتشعّب وجوه تعلّقاتها بذرّات الوجود التي لا تتناهى في مراتب الإمكان شعوباً وقبائل ، وهي أصل البركة وفرعها : **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ** ... إلخ »(١) .

وقال الشيخ الأصفهاني قدس‌سره (المتوفّى سنة ١٣٦٠هـ): « إنّ إطاعتهم عليهم‌السلام في أوامرهم الشرعيّة إطاعة بالذات للآمر ، وإطاعة بالعرض لمن جرى على لسانه أمره تعالى ، والإطاعة التي تكون إطاعة لهم بالذات وتكون إطاعة له تعالى بالعرض ـ من حيث أنّهم منسوبون إليه المدلول عليها بقوله عليه‌السلام : **مَنْ أَطاعَكُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ** ـ هي إطاعتهم في أوامرهم الشخصيّة ، فالنبوّة والإمامة حيثيّة تعليليّة لوجوب إطاعة أوامرهم الشخصيّة ، وما ورد في باب إطاعتهم عليهم‌السلام أوْلى بالشمول لمثل هذه الإطاعة من إطاعة أوامرهم الشرعيّة ، فإنّها إطاعة للأمر الإلٰهي بالحقيقة ، ولزومها بديهي لا يحتاج إلى المبالغة في الإلزام

(١) اللمعة البيضاء في شرح الخطبة الزهراء عليها‌السلام : ١٥١ و ١٥٢ ، وكذلك استشهد بها في الصفحة ٥٢٢ .

بها ، كما لا يخفى »[١] .

وقال السيّد الخوئي ﷺ (المتوفّى سنة ١٤١٣هـ) يقول : « وما يشبهها من الضلالات ، ويدلّ عليه قوله عليه السلام في الزيارة الجامعة : **وَمَنْ جَحَدَكُمْ كافِرٌ** ، وقوله عليه السلام فيها أيضاً : **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** ، فإنّه ينتج بعكس النقيض ، أنّ من لم يقبل عنكم لم يوحّده »[٢] .

ويقول كذلك ﷺ : « وقد ورد في الزيارة الجامعة : **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** ، فإنّه ينتج بعكس النقيض ، أنّ من لم يقبل منهم فهو غير موحّد لله سبحانه . . . والأخبار الواردة بهذا المضمون وإن كانت من الكثرة بمكان ، إلّا أنّه لا دلالة لها على نجاسة ليس هو في مقابل الإسلام ، وإنّما هو في مقابل الإيمان ، كما أشرنا إليه سابقاً »[٣] .

وقال السيّد الگلپايگاني ﷺ (المتوفّى سنة ١٤١٤هـ) : « وظاهرها كفرهم مطلقاً ، سواء كان من علم أو عن جهل مركّب ، ومنها رواية الفضل ، قال : دخل على أبي جعفر عليه السلام رجل محصور عظيم البطن ، فجلس معه على سريره ، فحيّاه ورحّب به ، فلمّا قام قال : **هذا من الخوارج كما هو .**

---

(١) حاشية المكاسب : ٢/٣٨٢ .

(٢) مصباح الفقاهة : ١/٣٢٣ .

(٣) كتاب الطهارة : ٢/٨٤ .

قال : قلت : مشرك ؟

فقال : **مشرك ، والله مشرك .**

والمراد من المشرك هو الكافر ، وقد مرّ ذلك الخبر في أوائل الكتاب ، وفي الزيارة الجامعة : **وَمَنْ حارَبَكُمْ مُشْرِكٌ** »[١] .

---

(١) نتائج الأفكار : ١/١٩٠ .

الإمام صاحب الزمان (عج) والزيارة الجامعة

نقل المحقّق الميرزا حسين النوري الطبرسي ﷺ قصّة تشرّف أحد الصلحاء بالإمام صاحب العصر عجّل الله فرجه ، ووصيّته بقراءة هذه الزيارة .

قال الميرزا النوري ﷺ : « قدم النجف الأشرف منذ سبع عشرة سنة تقريباً التقيّ الصالح السيّد أحمد ابن السيّد هاشم ابن السيّد حسن الموسوي الرشتي أيّده الله ، وهو من تجّار مدينة رشت ، فزارني في بيتي بصحبة العالم الربّاني ، والفاضل الصمداني الشيخ الرشتي طاب ثراه الآتي ذكره في القصّة الآتية إن شاء الله ، فلمّا نهضا للخروج نبّهني الشيخ إلى أنّ السيّد أحمد من الصلحاء المسدّدين ، ولمّح إلى أنّ له قصّة غريبة . . .

فتشرّف السيّد أحمد الرشتي بلقاء صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف) ـإلى أن قال ـ: فقال صاحبي ـأي صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف ـ: **ناولني العنان** ، فناولته إيّاه ، فأخذ العنان بيمناه ، ووضع المسحاة على عاتقه الأيسر ، وأخذ في المسير ، فطاوعه الفرس أيسر المطاوعة ، ثمّ وضع يده على ركبتي وقال : **لماذا تتركون زيارة عاشوراء ، [زيارة] عاشوراء ، [زيارة] عاشوراء** ـكرّرها ثلاث مرّات ؟ .

ثمّ قال : **لماذا لا تزورون بالزيارة الجامعة [الكبيرة] ، الجامعة ، الجامعة ، الجامعة . . . ؟** »(١) .

وقد تقدّم مدحه (عجّل الله فرجه الشريف) لهذه الزيارة في مكاشفة المولى محمّد تقي المجلسي ﷺ المذكورة آنفاً عندما قال ﷺ : **نعمة الزيارة** .

---

(١) النجم الثاقب : ٢/٢٧٣ . مفاتيح الجنان : ٦٢٦ ـ ٦٢٨ .

الزيارة الجامعة الكاملة

ثمّ إنّ هذه الزيارة العظيمة لها صورة أُخرى أطول ، غير الطريق الذي رواه الصدوق والشيخ رحمهما الله ، وقد روى تلك الصورة المطوّلة الشيخ الكفعمي رحمه الله في البلد الأمين(١) ، والميرزا النوري رحمه الله في المستدرك في أبواب الزيارات(٢) .

وقد روى العلّامة المجلسي رحمه الله الزيادات في زيارات جامعة أُخرى(٣) .

بل قد ألّف الميرزا النوري قدس سره كتاباً خاصّاً بالزيارة الجامعة الكاملة ، وقد طبع في تبريز سنة ١٣١٥هـ(٤) .

وأورد الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله متن الزيارة الكاملة في ما تمّمه من كتاب « تحيّة الزائر » للميرزا النوري(٥) .

---

(١) البلد الأمين : ٤١٨ .

(٢) المستدرك : ٤١٦/١٠ ، باب نوادر ما يتعلّق بأبواب المزار .

(٣) بحار الأنوار : ١٢٦/١٠٢ ـ ٢٠٩ .

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٧٩/١٢ .

(٥) الذريعة إلى تصانيف الشيعة : ٤٨٨/٣ .

القسم الثاني

ردّ الشبهات

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين

محمّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين ،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

شبهة وإثارة

المسألة التي يطرحها البعض هي أنّ الزيارة الجامعة تخالف الكتاب والسنّة في بعض فقراتها ، والفقرة المقصودة بهذه المسألة هي : **وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ** لكونها تنافي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾[1] ، فالتعبير هنا هو عن الذات الإلـهيّة ، بأنّ الحساب على الله عزّ وجلّ ، وأنّ الإياب إليه تعالى : ﴿ **إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[2] ، فكيف يكون الإياب إلى الأئمّة عليهم السلام

(١) الغاشية ٨٨ : ٢٥ و ٢٦ .

(٢) البقرة ٢ : ١٥٦ .

والحساب عليهم .

ونظير هذا الاعتراض قد يُعترض على ما ورد في زيارات متعدّدة ، كما في الزيارة المعروفة للإمام الرضا (عليه السلام) ـ مثلاً ـ والتي تتضمّن صلوات على المعصومين كلّ على حدة ـ وهي مسندة أيضاً ـ فله (عليه السلام) عدّة زيارات جمعها السيّد رضا الصدر (رحمه الله) في كتاب طُبع طبعة واحدة فقط ، وهو كتاب قيّم جدّاً ، لأنّه قد استقصى فيه أكثر زيارات الرضا (عليه السلام) .

في أشهر زيارة له (عليه السلام) صلواتٌ على كلٍّ من النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، وسيّد الأوصياء (عليه السلام) ، ثمّ الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) ، ثمّ الحسنين (عليهما السلام) ، ثمّ بقيّة المعصومين (عليهم السلام) .

تقول في أوصاف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وأوصاف جملة من المعصومين : **وَدَيّانِ الدّينِ بِعَدْلِكَ ، وَفَصْلِ قَضائِكَ بَيْنَ خَلْقِكَ**[(١)] ، وهذه الأوصاف هي أوصاف وردت في القرآن الكريم لله عزّ وجلّ ، وهي بذلك شبيهة بهذه العبارة : **وَإِيابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ ، وَحِسابُهُمْ عَلَيْكُمْ** ، هذه العبارة التي تحمل التساؤل والاعتراض المطروح .

ومعلومٌ أنّ مبدأ الخلق لله تعالى ، وأنّ المنتهى إليه ، فكيف يُطلق هذا التعبير على الإمام ، فكأنّ المنتهى للأئمّة (عليهم السلام) ؟ لذا قيل بأنّ هذا

(١) مفاتيح الجنان : ٥٧٣ .

المضمون هو خلاف الكتاب والسنّة قطعاً .

نظريّة التجسيم ودورها في خلق هذا التساؤل

هذا التساؤل وهذا الاعتراض مبنيّ على نظريّة في العقيدة أشبه بنظريّة التجسيم إن لم تكن عينها . ونظريّة التجسيم أو التشبيه هذه خطيرة جدّاً ، وهي نظريّة ناخرة ومعشّشة في كثير من بحوث العقيدة الإسلاميّة عند كثير من أصحاب المذاهب الإسلاميّة ، ولربّما حتّى في الوسط الداخلي لدينا في بعض الكتابات .

وليس من الاعتباط أنّ أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) انبروا بكلّ قوّة وشدّة لتفنيد نظريّة التجسيم والتشبيه والتعطيل ، كما قال البررة (عليهم السلام) لتفنيد نظريّة الجبر والتفويض . ومن المعاجز العلميّة الخالدة لأهل بيت النبوّة (عليهم السلام) أنّهم بدّهوا ، أي أوصلوا الأمر للبديهة ، وأوصلوا الأمر المجهول لدى عامّة المسلمين إلى درجة البديهة ، وأوصلوه إلى درجة الذروة .

ذكر أصحاب التفاسير من الفريقين في قوله تعالى : ﴿ **مَنْ أَنبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾[(١)] .

(١) التحريم ٦٦ : ٣ .

حسب ما رووه هم ، وهذه طبعاً الحال في عامّة الناس ، ففهم عامّة الناس للآية الكريمة : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾(١) قد يصل بهم إلى التفكير بأنّ عرشه في السماء بفوقيّة جغرافيّة ، أو أنّ الاستواء استواء جغرافي .

المقصود أنّه ببركة أهل البيت عليهم‌السلام أُزيل هذا الجهل بالأُمور العقائديّة الهامّة الخطيرة جدّاً والبالغة الأهمّيّة ، واستبدل بالعلم إلى درجة البديهة ، فقد أوضحوا عليهم‌السلام بطلان التجسيم وبطلان التشبيه إلى درجة البديهة بعد أن كان الأمر مجهولاً أو غائماً أو عائماً عند عامّة المسلمين .

إنّ نظريّة التجسيم والتشبيه والتعطيل : « لا تشبيه ولا تعطيل إنّما توحيد وتوصيف بالحقّ » هي من القواعد العقائديّة البالغة الأهمّيّة ، وكلّ من اعتمد مثل هذه القواعد فهو بالضرورة قد رشف علمها من أهل بيت النبوّة عليهم‌السلام ، مباشرة أو بالواسطة ، شعر بذلك أم لم يشعر ، فهذه صدرت من معدن العلم ، لم يسبقهم لها سابق ، ولم يتفطّن إليها فطن ، وراثةً عن سيّد المرسلين صلى‌الله‌عليه‌وآله ، في العلوم التي لم يرثها أحد غيرهم منه ، وكذلك « لا جبر ولا تفويض ، بل هو أمر بين أمرين »(٢) .

---

(١) الزخرف ٤٣: ٨٤.

(٢) الكافي: ١/١٦٠ ، الحديث ١٣ . الاعتقادات: ٢٩ . التوحيد: »

الجهالة بحقيقة هذه القواعد وهذه الأُمور هي ـ مع الأسف ـ عالقة ومنتشرة ومتفشّية في عقول الكثير منّا حتّى في الوسط الداخلي ، من حيث لا نشعر ، فنتعامل مع كثير من مفردات العقيدة تعامل الجبريّة ، وهذا خاطئ ، ونتعامل مع الكثير من المفردات العقائديّة معاملة المشبّهة أو المجسّمة أو معاملة المعطّلة ، من حيث نشعر أو لا نشعر ، وكلّ تفسير عقائدي مبنيّ على التجسيم وعلى التعطيل وعلى التشبيه فهو باطل ، كما هو الحال في ذات التعطيل وذات التجسيم ، شعر به القائل أو لم يشعر ، وكلّ تفسير عقائدي مبنيّ على الجبر أو على التفويض فهو خاطئ ، فطن له المفسّر أو لم يفطن .

عندما نقرأ في شؤون الباري تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(١) ، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(٢) لا نعني بالنظر هنا النظر إلى شابّ أمرد جميل ـ والعياذ بالله ـ وليست تلك الرؤية رؤيةً جسمانيّة ، إنّما هي رؤية قلبيّة : **تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ**(٣) ، كما قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **أَفَأَعْبُدُ**

» ٣٦٢ ، الحديث ٨ . عيون أخبار الرضا عليه‌السلام : ١/١٠١ ، الحديث ١٧ .

(١) الفاتحة ١: ٤ .

(٢) القيامة ٧٥: ٢٢ ـ ٢٥ .

(٣) سأل ذعلبُ اليماني أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فقال : هل رأيت ربّك يا أمير »

ما لَا أرىٰ ؟ !»(١) ، أمّا الرؤية الجسمانيّة بالعين البيضاويّة هذه ، فحاشا لله أن تحيط به العيون ، وإلّا لكان محدوداً ، مع أنّه ورد عنهم عليهم السلام أنّ النظر في الآية بمعنى الانتظار لما يجازيهم ربّهم ، كما في آية اُخرى : ﴿ **فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾(٢) .

نفي مقالة التجسيم

ونفي توهّم التجسيم غير مخصوص بدار الدنيا ، فالباري تعالى لا تحيط به دنيا ولا آخرة ، ولا برزخ ، ولا أوّليّة ولا آخريّة ، لأنه الأوّل

المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : **أَفَأَعْبُدُ ما لَا أرىٰ ؟ !**

قال : وكيف تراه ؟

قال عليه السلام : **لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ . لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ .**

نهج البلاغة : ٣٩٩ .

(١) المصدر المتقدّم .

(٢) النمل ٢٧ : ٣٥ .

قبل الأشياء ، فهو أوّل الأوّليّة ، والآخر بعد فناء الأشياء ، فهو آخر الآخريّة ، لا يحيط به عالم من العوالم ، وحينما يقال بأنّ الله عزّ وجلّ ليس جسماً وأنّه لا يشبه أحداً من خلقه ، فهذا لا يعني الشبه في الأجسام فقط ، بل حتّى الأرواح لا تشبه الله عزّ وجلّ ولا الأنوار ، لأنهما من الخلقة الإلٰهيّة . قال تعالى : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ** ﴾(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « **أوّل ما خلق الله نور نبيّك ، يا جابر** »(٢) ، فنفي التشبيه لا يقتصر على نفي التجسيم فحسب ، بل يقتضي نفي تشبيه الله تعالى حتّى بغير الأجسام ، فخلقة الأنوار ، وخلقة العقول ، وخلقة الأرواح ، كلّها لا تشبه الله عزّ وجلّ ، ولا يشبهها الله عزّ وجلّ ، فالله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه ، ولا يشبهه من خلقه شيء .

وكم هو عظيم روح القدس ! يتجلّى ذلك في قوله تعالى : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا** ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾(٤) ، فالملائكة كلّها تفتقر في نزولها وعروجها إلى الروح ، والروح خلق أعظم من الملائكة ، لكنّنا مع ذلك

---

(١) النور ٢٤: ٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٢١/٢٥ و ٢٢ ، الحديث ٣٧.

(٣) القدر ٩٧: ٤.

(٤) النحل ١٦: ٢.

نُنزّه الباري عن تشبيهه بالروح مهما تعاظم ، وهو الوهم في التشبيه الذي وقع فيه النصارى ، لأنّه خلق من خلق الله ، فننفي بذلك التجسيم والتشبيه .

وقد يظنّ البعض نفسه سالكاً مسلك الصواب حينما يكتفي بنفي التجسيم عن الله ، والله سبحانه وتعالى له ذاته المنزّهة عن كلّ سوء بما في ذلك الاعتقاد بكونه نوراً مشتبكاً مع خلقه والعياذ بالله ، كما قد يتوهّم من قوله تعالى : ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[1] ، فلا تجسيم ولا تشبيه ، ونفي التشبيه أعمّ من نفي التجسيم المرتكز في بعض العقول ، لأنّ طبيعة البشر ميّالة للتشبيه ، نزّاعة للتجسيم ، تحمل طبيعة المخيّلة أو الأوهام التي تجسّم الشيء وتصوّره ، لأنّها دائماً تأنس بالمادّة .

وتتفشّى هذه النظريّة وهذه العقيدة ـ عن شعور أو عن غير شعور ـ في كثير من البحوث الإسلاميّة ، كنظريّة الجبر ، كما يقول عدّة من المحقّقين : « إنّ الكثير ممّن يتبرّأ من الجبر أو يتبرّأ من التفويض ، يقع من حيث لا يشعر في الكثير من المباحث في المعارف الإسلاميّة في الجبر أو في التفويض » ، لصعوبة هذه البحوث وهذه المعارف ، ولصعوبة نفس الجبر والتفويض ، وغموض نفيهما وسلوك مسلك

(١) النور ٢٤: ٣٥.

الحقّ والتوحيد وهو الاختيار بينهما « أمراً بين أمرين » ، تلك المباحث صعوبتها في تطبيقات هذه النظريّات .

كذلك الشأن في قضيّة « لا تشبيهَ ولا تعطيلَ ، وإنّما توصيفٌ بتوحيد »[1] المقولة المشهورة عن أهل البيت عليهم السلام هي قريبة من هذا المضمون ، وأهل البيت هم الذين أسّسوا صرح مثل هذه القواعد الدينيّة الشامخة الهامّة ، وإلّا لكان المسلمون في معزل عن الاطّلاع على مثل هذه الحقائق والمعالم الدينيّة ، لكن ببركاتهم تبدّهت وانتشرت بأنّه « لا جبر ولا تفويض ، ولكن أمر بين أمرين »[2] ، وأنّه : « لا تشبيه ولا تعطيل ، وإنّما توصيف بتوحيد » .

إنّ نفي التشبيه يتضمّن نفي التجسيم ، ومن يتبنّى ويلتزم بنفي التجسيم ونفي التشبيه يواجه من الجانب الآخر صعوبة نفي التعطيل .

نفي التعطيل وما قد يجرّ إليه

يُعرف التعطيل بأنّه تعطيل الباري عن صفاته ، أو عن الكمالات ، أو عن الفاعليّة ، أو عن القيموميّة ، أو عن العالميّة ، أو عن القدرة ، أو عن الإحاطة ، أو عن الهيمنة ، أو عن أصل الوجود ، والعياذ بالله .

(١) التوحيد / الصدوق : ١٠٤ ، الحديث ١.

(٢) الكافي : ١/١٦٠ ، الحديث ١٣. التوحيد / الصدوق : ٢٠٦.

كأن يقال بأنّ هذه المخلوقات والعوالم برمّتها لا خالق لها ، فيتعطّل بهذا القول عالم الخلقة عن الخالق .

والتعطيل لا ريب في فساده وبطلانه ، لكنّ الكثير من الأذهان يستصعب عليها نفي التعطيل حين ما تنفي التجسيم والتشبيه ، لأنّ نفي التعطيل لا بدّ له من إثبات ، كإثبات صفات الله ، وإثبات فاعليّة الله ، وإثبات حاكميّة الله عزّ وجلّ ، فإن أراد أن يثبت ـ نسبةً إلى الإثبات ـ أثبت بتمثيل وتشبيه ، فوقع في محذور التشبيه أو التجسيم ، وإذا أراد أن يسلك مسلك النفي ـ بأن ينفي التشبيه والتجسيم ـ قد يؤدّي به ذلك للانجرار إلى النفي المطلق الذي هو التعطيل ، فنفي التعطيل هو النفي ، ونفي النفي هو الإثبات .

قد يجرّ نفي التعطيل إلى التشبيه أو التجسيم ، بأن يشبّه الإنسان الباري تعالى بما يشاهده ويدركه من أفعال وأفاعيل المخلوقات ، لأنّ حدود إدراكه هي أفعال المخلوقات ، فيثبّتها بعينها وبمثلها للبارئ ، فيكون مشبّهاً من حيث لا يشعر . لكنّه إن نفى مثل هذه الإثباتات من تشبيه وتجسيم وأفرط في النفي ، وقع في محذور التعطيل . لذا كانت هناك جدليّة عويصة بين نفي التشبيه ونفي التعطيل ، نظير الجدليّة العويصة الموجودة بين نفي الجبر ونفي التفويض ، فنفي الجبر أدّى بالمعتزلة إلى التفويض الباطل ، كأنّما الله فوّض إلى العباد تفويضاً

عزليّاً ، أي أنّ قدرته انعزلت وانحسرت عن مخلوقات الله ـ والعياذ بالله ـ مثل عطيّة مُعطٍ إلى طرف آخر ، حين تنقطع الصلة بين الواهب والموهوب ويستقلّ الموهوب بالهبة ، والباري ليس كذلك ، يدّعى هذا التفويض عزليّاً بحيث يفوّض الله أمر المخلوق إليه ـ والعياذ بالله ـ وتنحسر قدرته وهيمنته وإحاطته ، وهذا تفويض باطل .

إذا أراد الإنسان نفي التفويض الباطل ، قد يفرّط به الحال إلى قوله بأنّ كلّ شيء من خير وشرّ هو مستند إلى الباري ، وأن لا إرادة للمخلوق ، فيؤدّي به إلى الجبر ، وإذا أراد إثبات الفاعليّة والقدرة لله في الأفعال بالقول المطلق ، قد يجرّه هذا إلى الجبر ، وإن أراد نفي إسناد الشرور إليه تعالى ونفي الإكراه والإلجاء قد يؤدّي به النفي المطلق إلى التفويض . ولا ريب أنّ اعتماد الطريق الوسط يكون باتّباع « الأمر بين أمرين » القاعدة التي أبانها أهل البيت عليهم السلام ، وهي طريقة صعبة غامضة .

فالبحث في هاتين القاعدتين ـ إذاً ـ وعرٌ وصعب ، وكثيراً ما يخوض الإنسان فيهما ـ كما يقول محقّقو علماء الإماميّة من فلاسفة ومتكلّمين ـ بشكل مفصّل ويكتب كتباً وأسفاراً وصفحاتٍ في بيان تحقيق هاتين القاعدتين ، لكنّه يقع من حيث لا يشعر ـ رغم تحقيقه وتنقيحه مثل هذه المباحث ـ في أبواب المعارف الأُخرى ، يقع في

خلاف هاتين القاعدتين ، ويترك ـ لا شعورياً ـ الالتزام بهاتين القاعدتين ، ويقع في محاذير أُخرى ، أي رغم أنّه يسلك مسلك الاختيار لكن من حيث لا يشعر ، يقع في مسلك الجبر أو مسلك التفويض ، وكذلك في مسألة التعطيل والتشبيه .

ولا بدّ من التركيز الدقيق على هاتين القاعدتين ، لأنّهما ناخرتان في عظام منظومة كثير من المعارف ، وكذلك ما نحن فيه ، وهي قضيّة الحساب .

نفي التشبيه وعلاقته بمبحث المعاد

إذا اعتمدنا مذهب الحقّ القائل إنّ الباري تعالى ليس بجسم ، لا يشابه أحداً من خلقه ، ولا يشبهه أحد من خلقه ، فلا يمكن قصر ذلك على دار الدنيا فقط ، بل في كلّ العوالم والمشاهد بالطبع ، فهو جلّ وعلا ـ على كلٍّ ـ لا تحيط به النشآت المخلوقة ، كنشأة الآخرة ، ونشأة الدنيا ، ونشأة البرزخ ، ونشأة القبر ، فهو ليس جسماً محدوداً لتحيط به النشآت . وإن كان شأنه تعالى كذلك ، فهل يتوقّع أصحاب مذهب التجسيم أن نقول بأنّ إياب الخلق إلى الله في يوم القيامة ، يعني أن نشاهد الله تعالى بالرؤية البصريّة ، الجسمانيّة ، الجغرافيّة ، المكانيّة ، بحيث نتوجّه وجهة جغرافيّة للبارئ تعالى ؟ هذا ممّا

لا يمكن التفوّه به ، لأنّه يستلزم محدوديّة الباري ، وإلّا لصدقت مقولة قريش العاصية على رسالة السماء : « إذا كانت عدّة أصحاب النار الملائكة تسعة عشر ، فنحن قريش جمهورنا غفير ، نقيم بدراً أو أُحداً أُخرى ونتغلّب عليهم ! » ، أو تلك المقولات الإسرائيليّة التي تخبر بمصارعة بين الله عزّ وجلّ وبين يعقوب ، ولطم وجه الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ وغيرها من السفاسف .

ورُبّ قائل : إن كان الله عزّ وجلّ ليس بجسمٍ ولا يشبه أحداً من خلقه ، فأيّ معنىً لإياب الخلق إلى الله وحسابه مع الله ؟

يجب ـ أوّلاً ـ نفي التجسيم في مبحث المعاد ، لأنّه لا يصحّ اكتفاء الباحث بنفي قاعدة التجسيم في مبحث من المباحث فحسب ، فنفي التجسيم والتشبيه قاعدتان ركنيّتان في مبحث التوحيد ، لذا يعمّ نفيهما لمبحث المعاد ، لا سيّما وأنّ المعاد هو نوع من التوحيد ، فهو توحيد الغاية .

فلا تشبيه ولا تجسيم في المعاد ـ إذاً ـ أي أنّ الله عزّ وجلّ ليس بجسم ، والمقصود بقوله تعالى : ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾[1] ليس النظر الجسماني وإنّما الرؤية القلبيّة ، كما قال

---

(١) القيامة ٧٥: ٢٢ و ٢٣.

الصادق عليه السلام لأبي بصير ـ تلميذه ـ حين سأله : هل يراه المؤمنون يـوم القيامة ؟

قال عليه السلام : **نعم ، وقد رأوه قبل يوم القيامة .**

فقلت : متى ؟

قال : **حين قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾**[1] .

ثمّ سكت ساعة ، ثمّ قال : **وإنّ المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يـوم القيامة ، ألست تراه في وقتك هذا ؟**

قال أبو بصير : فقلت له : جعلت فداك ، فأُحدّث بهذا عنك ؟

فقال : **لا ، فإنّك إذا حدّثت به فأنكر منكر جاهل بمعنى ما تقوله ، ثمّ قدّر أنّ ذلك تشبيه كفر ، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين ، تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون »**[2] .

وهذه الرؤية القلبيّة التي يثبتها مذهب الإماميّة ـ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ.

فقولنا : بأنّ الملائكة ـ على سبيل المثال ـ في عرصات يوم القيامة هي أجسام لطيفة نورانيّة ، هو قول لا يوصف به الباري تعالى ، لأنّه

---

(١) الأعراف ٧: ١٧٢ .

(٢) التوحيد : ١١٧ ، الحديث ٢٠ .

لا يصحّ أن نثبت له جسماً أو شبهاً بأحد من خلقه . لكنّنا بنفينا المطلق للتجسيم هنا قد نقع في التعطيل . فلا يمكن لنا ـ مثلاً ـ أن نـعطّل الله عزّ وجلّ عن الحاكميّة في يوم القيامة ، لأنّ الإغراق في النـفي ، أي الاقتصار عليه يؤدّي إلى التعطيل ، ونفي النفي ، أي نفي التعطيل يعني الإثبات ، والإغراق في الإثبات بكلّ صفة إثباتيّة ، يؤدّي إلى التجسيم والتشبيه ، فما الحلّ لهذا الإشكال ؟

مع نفي التجسيم والتشبيه يوم القـيامة ، لا بـدّ ـ أيـضاً ـ مـن نـفي التعطيل ، فكيف نفسّر أنّ الحاكم الأوّل هو الله عزّ وجلّ ، وأنّـه هـو الحاكم يوم الدين ، وهو مالك يوم الدين ، وديّان يوم الديـن ، الأوّل والآخر ؟

هذا التساؤل لا يطرح في المعاد فقط ، بل حتّى فـي دار الدنـيا ، وهؤلاء المستشكلون والمتسائلون يثيرون العجب ، فكأنّما يريدون أن يوحّدوا الله عزّ وجلّ في يوم المعاد دون دار الدنيا ! **﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾**[1] ، ليس الحكم في التشريع فـحسب ، **﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾** بل هو في كلّ مجال حتّى في الحكم والحاكميّة السياسيّة وحتّى في التكوين ، **﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾**[2] .

---

(١) الأنعام ٦: ٥٧ . يوسف ١٢: ٤٠ و ٦٧ .

(٢) الإنسان ٧٦: ٣٠ .

إنّ الحكم التكويني الحكم المعني بقوله تعالى : ﴿إِنِ الْحُكْمُ﴾ وفرض الإرادة هي بالأصالة لله عزّ وجلّ ، وقدرة خلقه هي من بعده .

الفرق بين نظرة مدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظرة بقيّة المدارس لصفات الله تعالى

لذلك وُجد فرق بين عقيدة أهل البيت عليهم السلام وعقائد بقيّة مذاهب المسلمين ، فهم يرون أنّ الله عزّ وجلّ غير متسلّط الآن في النظام الاجتماعي أو السياسي ، لأنه أتى لهم فقط بدستور خالد سماوي من شريعة ودين ، ثمّ ترك الأمور على غاربها ! فقوّته وقدرته وصلاحيّته ـ كما يرون ـ هي قوّة تشريعيّة بناءً على حكمه ، فالسلطة التشريعيّة بيد الله ، أمّا السلطة السياسيّة والسلطة التنفيذيّة والسلطة القضائيّة هي كلّها ليست بيد الله !

لم تستطع أيّ مدرسة أو أيّ مذهب من المذاهب الإسلاميّة أن تصل إلى تفسير ما وصلت إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام من أنّ الله سبحانه وتعالى حاكم على كلّ الأصعدة والمقامات ، لا في يوم الدين فحسب ، بل إنّه حاكم هاهنا في دار الدنيا ، والحاكم الأوّل هو الله عزّ وجلّ ، لكنّها لم تثبت هذه العقيدة بتجسيم ولا تشبيه ولا تعطيل ، بل إنّ المدارس الإسلاميّة الأُخرى التزموا بالتعطيل في دار الدنيا !

فقالوا بأنّ السلطة التشريعيّة هي لله ، أمّا السلطة التنفيذيّة والسياسيّة والعسكريّة والقضائيّة ، فهي كلّها محسورةً ومنعزلةً عن القدرة الإلٰهيّة ـ والعياذ بالله ـ نظير مقالة اليهود : ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (١) .

تصرّف الله لا ينحسر في دار من دور الخلقة ، ولا نشأة من نشآتها ، وهو إن كان مخصوصاً في دار الدنيا فهو كذلك في يوم القيامة ، وإن كان عامّاً في يوم القيامة فهو كذلك في دار الدنيا . أمّا تفسير أهل البيت عليهم السلام حاكميّة الله في دار الدنيا ، فإنّ الحاكم الأوّل كان الله حتّى في حكومة الرسول صلى الله عليه وآله ، وحتّى في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يكن الحاكم الأوّل هو أمير المؤمنين ، إنّما هو الله تعالى ، وكان الحاكم الثاني في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام في خمس سنوات أيضاً هو الرسول صلى الله عليه وآله ، وكان الحاكم الثالث هو أمير المؤمنين عليه السلام .

يقول الله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ (٢) ، ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٣) ، هم مهبط مشيئات الله ، ومهبط إرادات الله ، فإرادتهم مؤتمرة بإرادة الله ، حتّى

---

(١) المائدة ٥ : ٦٤ .

(٢) الإنسان ٧٦ : ٣٠ .

(٣) الأنبياء ٢١ : ٢٦ و ٢٧ .

إرادة الله التنفيذيّة والسياسيّة والعسكريّة والقضائيّة ، في الآيات القرآنيّة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (٣).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

ينبغي أن لا نقرأ هذه الآيات بحسب موارد النزول فقط باعتبارها تشريعات كلّيّة فحسب ، لأنّ قراءة القرآن وتفسيره لا يقتصر على هذا

---

(١) التوبة ٩: ٧٣. التحريم ٦٦: ٩.

(٢) التوبة ٩: ١٠٣.

(٣) الأنفال ٨: ٦٥.

(٤) الممتحنة ٦٠: ١٢.

النحو فقط عند أهل البيت (عليهم السلام) . لا تقتصر هذه على كونها تشريعات كلّيّة فقط ، إنّما هي تطبيقات إلـهيّة سياسيّة وتنفيذات إجرائيّة أيضاً ، كما أنّ كلّ بند هو بند تشريعي كلّي في تفسير القرآن ، هو أيضاً بند إجرائي تنفيذي تفصيلي من الله عزّ وجلّ ، وحاكميّة ، فكما هو تشريع عامّ في الجهاد ، وتشريع في الاقتصاد ، وتشريع في السياسة ، وتشريع في السياسة الماليّة ، وكذا في الطلاق وفي الظهار ، وكذا في الأحوال الشخصيّة ، كذلك كانت حكومة وحاكميّة جزئيّة وإنفاذ حاسم باتّ في تلك الموارد كانت الحاكميّة الأُولى بحسب منطق القرآن لله عزّ وجلّ ، ومن بعده للرسول (صلى الله عليه وآله) هي أُمور تفصيليّة وليست تشريعات كلّيّة فقط ، والملفت للنظر أنّ هذه الجهة قد أغفلها عامّة المفسّرين من كلا الفريقين ـ مع الأسف ـ بخلاف روايات أهل البيت (عليهم السلام) .

حاكميّة الله تعالى كما تراها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

إذاً فحكومة الرسول (صلى الله عليه وآله) التي نشاهدها في القرآن ، نشاهد فيها الله تعالى الحاكم الأوّل ، وليست هي من ناحية السلطة والصلاحيّات التشريعيّة لله عزّ وجلّ فقط ، بل الصلاحيّة والتصرّفات السياسيّة ، والسلطة القضائيّة ، فالقاضي الأوّل هو الله عزّ وجلّ .

في المنعطفات الخطيرة تسلّم الأُمور إلى قضاء الله ، وفي المنعطفات الاقتصاديّة الخطيرة الحاكم الاقتصادي الأوّل هو الله ،

وفي المنعطفات العسكريّة الخطيرة الحاكم أيضاً هو الله عزّ وجلّ ، وبعده تأتي حاكميّة الرسول (صلى الله عليه وآله) في الأمور التي دون ذلك . ولا تجد هذه النظرة التوحيديّة والحاكميّة لله عزّ وجلّ في دار الدنيا عند غير مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهي ليست ـ في عقيدة مدرسة أهل البيت ـ خاصّة بحكومة الرسول وبعهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وإنّما هي كذلك في عهد الأئمّة ، ففي حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، كان الحاكم الأوّل هو الله كذلك ، لأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مهبط إرادات الله ليس بصاحب شريعة جديدة ، إنّما منفّذ الشريعة ومطبّقها ، فيتنزّل الأمر على الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولو في عوالم البرزخ أو عالم الآخرة ، ثمّ يتنزّل على أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ومن ثمّ يأتمر أمير المؤمنين وهو في دار الدنيا بأوامر النبيّ التفصيليّة ، وهو (صلى الله عليه وآله) في البرزخ . نحن لا نحسر ولاية الرسول (صلى الله عليه وآله) بدار الحياة الدنيا : « **يا حسين ، اخرج إلى العراق ، إنّ الله شاء أن يراك قتيلاً** »(١) .

فخروج الحسين (عليه السلام) كان بأمر من الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) ، فالرسول هو رسول مطاع حتّى في دار الآخرة ﴿ **وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾(٢)، وكما أنّ طاعة الله ليست مخصوصة بحياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ،

---

(١) اللهوف : ٤٠ . بحار الأنوار : ٣٦٤/٤٤ . العوالم ـ الإمام الحسين (عليه السلام) : ٢١٤ .

(٢) الأنفال ٨ : ١ .

وإنّما هي طاعة مطلقة ، وكذلك ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ ، فلا يظنّ ظانّ أنّها طاعة مخصوصة أو مقيّدة بوجوده الشريف (صلى الله عليه وآله) في دار الدنيا ، بل هي مستمرّة لوجوده في دار الآخرة . غاية الأمر الرابط بيننا وبين وجوده (صلى الله عليه وآله) في دار الآخرة هو أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .

يُسائل ابن عبّاس سيّد الشهداء (عليه السلام) : أنت مؤتمر بأمر الرسول بالشهادة ، فما بال هذه النسوة أن تصطحبهنّ معك ؟

فقال سيّد الشهداء (عليه السلام) : **إنّ الله شاء أن يراهنّ سبايا** .

قوله : « **إنّ الله شاء** » هذه حاكميّة تفصيليّة . ففي عهد الحسين (عليه السلام) كان الحاكم الأوّل في نظام المسلمين الذي يدبّره ويديره الحسين (عليه السلام) ، هو الله عزّ وجلّ ، ثمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ثمّ الحسين (عليه السلام) .

إذاً فالحاكم الأوّل على كلّ الأصعدة حتّى الصعيد السياسي في دار الدنيا هو الله عزّ وجلّ بحسب مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، التي لم تعطّل حاكميّة الله تعالى حتّى في النشأة الدنيا ، ولا يصحّ أن يقودنا هذا الإثبات إلى تشبيه أو تجسيم فنقول بأنّ الله شابّ أمرد أملس وفتى بهيّ جميل ـ والعياذ بالله ـ ، أو أن نقول بعدم مشابهة الله عزّ وجلّ للأجسام لنشبّهه بغيره من المخلوقات ، فنقول بأنه روحٌ أعظم ـ والعياذ بالله ـ أو نقول بكونه نوراً مختلطاً بالسمٰوات ، تتولّد منه طاقات أُخرى ـ والعياذ بالله ـ ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ إقامة التوحيد

صعب مستصعب، بل ممتنع بغير النبيّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ ليس الله تعالى بجسم، وليس له شبيه، فلا يشابه خلقه، ولا يجوز تعطيل صفاته.

حينئذٍ تسدّ أمامنا الأبواب، ولا نجد باباً نفتحه سوى باب توصيف وتوحيد: التوحيد القائم على التنزيه عن التشبيه، وعلى نفي التعطيل، وإثبات حاكميّة الله عزّ وجلّ، فالقول إنّه هو الحاكم الأوّل حتّى في دار الدنيا في النظام الاجتماعي وفي النظام السياسي ونظام الخلقة... بالآيات، وبأسماء، وبخليفته ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[1]، ولا يعني هذا المنطق القرآني ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ التفويض العزلي والتعطيل لله، أو انتفاء قدرة الله أو انحسارها ـ والعياذ بالله ـ.

بيان أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الذات الإلٰهيّة

لا يصحّ إثبات صفات الله عزّ وجلّ بمباشرته بجسمانيّة، لأنّ الذي يفعل بمباشرة هو الذي يفتقر في فعله إلى القرب لكونه بعيداً من المفعول، وليس توحيد الله مباشرته بتشبيه من خلقه، فيكون روحاً أو نوراً يحلّ في الجسد، وإلّا لصرنا نقول بقول مذهب الحلوليّة الصوفيّة،

(١) البقرة ٢: ٣٠.

القائل بأنّ الله يحلّ في روح الإنسان أو في جسده أو نوره ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ** ﴾[1] نوره أي الخلوق، ونور السماوات يعني فعله لا ذاته. يقول الإمام عليّ عليه السلام عنه تعالى أنّه: « **داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بالمزايلة** »[2] المطلب الذي دقّ فهمه على الحكماء إلى القرن الواحد والعشرين الميلادي، والقرن الخامس عشر الهجري، وقد قالها عليه السلام قبل أربعة عشر قرناً!

في نهج البلاغة نهج حكمي معقّد، بل إنّ الحكماء أنفسهم استعصى عليهم شرحه، فمع هذه المدارس الفلسفيّة وعملقتها، تبدو حيرتهم من قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: « **داخل في الأشياء لا بالممازجة، وخارج عن الأشياء لا بالمزايلة** » الكلمات التي تتحدّث البشريّة إلى يوم القيامة في المعجزة العلميّة، معجزة المعارف.

وحتّى روّاد الفيزياء الحديثة يحارون في فهم هذا المطلب، وهذه هي وعورة التوحيد والتوصيف، « لا تجسيم ولا تعطيل، إنّما توصيف بتوحيد ». هذه القاعدة قاعدة اعتقاديّة عميقة عملاقة خطيرة، كما في أمر حاكميّة الله عزّ وجلّ في دار الدنيا، بأن يكون حاكماً بقدرته وهيمنته وإحاطته حتّى على خلفائه، بدءاً من خليفة الله

(١) النور ٢٤: ٣٥.

(٢) شرح أُصول الكافي: ٣/٦٣.

آدم إلى النبيّ الخاتم ﷺ وإلى الوصيّ الخاتم (عجّل الله فرجه الشريف)، فهو قادر على وجودهم وعلى أفعالهم، وهم مفتقرون إليه في وجودهم وفي أفعالهم وفي صفاتهم، لا يستغنون ولا يستقلّون عن فيضه طرفة عين، ولا ما هو أقلّ من ذلك، فخلقه قائم به تعالى.

هذا هو معنى تصرّف الله وقدرته، وهذا هو معنى عدم تعطيله، فلا يعني ذلك تجسيمه أو تشبيهه، لأنّ تصرّفه نافذ، وقدرته نافذة، وفعله نافذ، حاكم، مهيمن، مسيطر على المخلوقات من أشرفها إلى أدناها، وهذا معنى تصرّفه وحاكميّته. لا يعني أنّ حاكميّته في دار الدنيا تكون في قصر رئاسة جمهوريّة أو قصر ملكي! ألا نقرأ في الدعاء: **أَغْلَقَتِ الْمُلوكُ أَبْوابَها، وَدارَتْ عَلَيْها حُرّاسُها، وَبابُكَ مَفْتوحٌ لِمَنْ دَعاكَ**(١).

ليس له حجّاب، ولا يصحّ القول لإثبات هذه الحاكميّة بوجود قصر رئاسي لله عزّ وجلّ في الدنيا، أو بتنزّله في عرفة وفي ليلة الجمعة على دابّة ـ والعياذ بالله ـ!

حاكميّة الله عزّ وجلّ ومالكيّته هي ليوم الدين ولدار الدنيا ولكلّ العوالم، فهو مالك يوم الدين، وهو مالك كلّ شيء، و ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾، سواء في دار الدنيا أو في دار الآخرة، وفي كلّ مجال وموقع.

(١) بحار الأنوار: ٤٨/٣٠٩.

وساطة المخلوقات في أفعال الألوهيّة

حاكميّة الله عزّ وجلّ هي بتوسّط من حكومة أوليائه، لأنّ أولياءه قائمون بوجوده وفعله وتصرّفه. ولذا نشاهد هذا المنطق مذكوراً في القرآن الكريم، حتّى في التوفّي والإماتة اللذان يسندهما القرآن الكريم تارةً إلى الله عزّ وجلّ، وتارةً إلى ملك الموت عزرائيل، وتارة إلى أعوان عزرائيل وهم الملائكة الآخرون.

ليس هذا تناقضاً ولا تنافياً في القرآن الكريم، بل إنّها ـ كما يقولون ـ سلسلة مراتب تباعاً طوليّة: فالله أقدَرَ عزرائيل على الإماتة، لكنّ قدرة عزرائيل قائمة بالله، وقدرته تعالى على قدرة عزرائيل أقدر من قدرة عزرائيل على قدرة نفسه ـ التي وهبها الله له ـ لذلك نرى التعبير القرآني:

﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾(١).

﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ**﴾(٢).

وغيرها من الآيات التي أسند فيها التوفّي إلى ذاته المقدّسة، ومع ذلك يقول تعالى في سورة السجدة: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي**

(١) الزمر ٣٩: ٤٢.

(٢) الأنعام ٦: ٦٠.

وَكُلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [١].

كذلك يسند القرآن الكريم إسناداً ثالثاً فيقول: ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [٢] إسنادات ثلاثة، تارةً إلى ذاته المقدّسة، وتارةً إلى عزرائيل، وتارةً إلى الملائكة أعوان عزرائيل، وليس ذلك تناقضاً في القرآن الكريم، بل إنّ هذا هو التوحيد. وهو كذلك في الحاكميّة، وكذلك في الإحياء، فهو يسند الإحياء تارةً إلى ذاته المقدّسة، وتارةً إلى إسرافيل ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ** ﴾ [٣]، فقال: يُنفخ ولم يقل: أنفخ في الصور.

فأفعال الألوهيّة عند الله عزّ وجلّ ـإذاً ـ من إحياء وإماتة، وحاكميّة وديّانيّة، يجريها الله تعالى على يد المقرّبين والمكرّمين من مخلوقاته، وهي بتوسّط أشراف مخلوقاته، أي مخلوقاته الشريفة، التي هي من الملائكة المقرّبين ومن الأنبياء والرسل، فأفعالهم تسند إليه تعالى، لأنّ كلّ فعلهم قائم به، وكلّ وجودهم قائم به.

أمّا عن تصوير القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام لحاكميّة الله في

---

(١) السجدة ٣٢: ١١.

(٢) الأنفال ٨: ٥٠.

(٣) الأنعام ٦: ٧٣. طه ٢٠: ١٠٢. النبأ ٧٨: ١٨.

التكوين في دار الدنيا ودار الآخرة، فحاكميّة الله في التكوين، تشمل حاكميّة الله في النظام الاجتماعي ـكما في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ وكذلك حاكميّة الله في دار الآخرة: ديّان يوم الدين بأن ينصب خلفاء له يدينون الناس، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ** ﴾ أنّ هناك في عرصة القيامة رجال على الأعراف لديهم معرفة بكلّ من أصحاب الجنّة وأصحاب النار، وذلك بتوسّط علم التوسّم ومعرفة سيماء كلّ من الفريقين.

ومن الواضح أنّ هذا مقام يشرف ويهيمن على الفريقين، ثمّ تتابع الآية: ﴿ **وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [١]، أي نادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة بتسليمهم عليهم ﴿ **لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ** ﴾ أي أنّ أصحاب الجنّة لم يدخلوا بعد الجنّة وهم يطمعون، وغالب المفسّرين أرجع الضمير إلى أصحاب الأعراف، وهو خطأ فاحش، كما سيظهر من بيان بقيّة الآيات، وكما يظهر من الآية المتقدّمة أيضاً، حيث بيّنت مقام الإشراف لأصحاب الأعراف على معرفة الفريقين من

---

(١) الأعراف ٧: ٤٦ و ٤٧.

أصحاب الجنّة وأصحاب النار ، وقوله : ﴿ **وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ ، والفعل هاهنا أيضاً مسند إلى أصحاب الجنّة أنّهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قال أصحاب الجنّة : ربّنا . . . ، بقرينة ما سبق ، ولا سيّما أنّ بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴾(١) .

فإسناد فعل النداء إلى أصحاب الأعراف مع التصريح بصفتهم وعنوانهم دالّ على أنّ الجمل السابقة في الذين لم يدخلوا الجنّة ـ وهم يطمعون ، والذين إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ـ هؤلاء هم أصحاب الجنّة قبل دخولهم الجنّة ، وأنّ أصحاب الأعراف ينادون بعض أصحاب النار متميّزين بسيماء يعرفها بالتوسّم أصحاب الأعراف ، فيخاطبونهم : « أهؤلاء » أي يشير أصحاب الأعراف إلى أصحاب الجنّة في حين مخاطبة أصحاب الأعراف ونداءهم إلى بعض رجال أصحاب النار ، أهؤلاء الذين أقسمتم أن لن ينالهم الله برحمة ، أي لن ينال الله أصحاب الجنّة برحمة بعد أن يخاطب أصحاب

(١) الأعراف ٧ : ٤٨ و ٤٩ .

الأعراف أُولئك الرجال من أصحاب النار ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ ، ثمّ يخاطب أصحاب الأعراف أصحاب الجنّة : ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴾ .

وهذا يدلّ على مقام عظيم آخر لأصحاب الأعراف أنّهم هم الذين يأذنون لأصحاب الجنّة في دخول الجنّة ، وهذا ممّا يدلّ على أنّ أصحاب الأعراف هم الموكّل لهم من قِبل الله تعالى حساب الخلق ومداينة أصحاب النار ومجازاة أصحاب الجنّة ، وأنّهم أصحاب الأعراف قد أُعطوا علم ومعرفة الفريقين بتوسّط علم التوسّم ومعرفة سيماء كلّ فريق ، وأنّهم الذين يقسمون الخلق إلى فريقين ، ويميّزون كلّ فريق عن الآخر .

وأصحاب الأعراف هؤلاء قد أفصح القرآن عنهم ، وهم الشهداء على الخلق الذين يشهدون على العباد أعمالهم ،كما قال الله تعالى في آخر سورة الحجّ : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** ﴾(١) ، فأفصح عنهم القرآن أنّهم من نسل إبراهيم وذرّيّته ، وأنّهم الذين اجتباهم الله واصطفاهم من

(١) الحجّ ٢٢ : ٧٨ .

هذه الأمّة ، وأنّ خاتم المرسلين وسيّد الأنبياء شاهد عليهم وهم شهداء على الناس ، وقد أُشير إليهم في سورة البقرة في دعوة إبراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾[١] ، فهم محلّ دعوة إبراهيم وإسماعيل ومن نسلهما ، وسمّاهم من قبل المسلمين كما أنّهم محلّ دعوة إبراهيم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[٢] ، فأجابه تعالى بجعل الإمامة في ذرّيّته المصطفون المجتبون المنزّهون عن المعاصي والظلم ، وهم أهل آية التطهير ، فهؤلاء هم الشهداء المجتبون على أعمال الخلق ، فهم الذين يعرفون أصحاب الأعمال الصالحة وأصحاب الأعمال الطالحة ، وهم أصحاب الأعراف الذين يعرفون الفريقين بسيمائهم ويدينون أصحاب النار ويأذنون لأصحاب الجنّة بدخولها ، فمن ثمّ ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾[٣] ، فيصحّ أن يسند إليهم الميزان

(١) البقرة ٢ : ١٢٨ و ١٢٩ .

(٢) البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٣) الأنبياء ٢١ : ٤٧ .

-كما قال سيّد الأوصياء عليه السلام -: « أنا موازين القسط »[١] ، شهداء على الناس ، والله عزّ وجلّ أشار إلى دورهم ، فقال : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾[٢] ، وباعتراف الفخر الرازي يقول : إنّ هذه الآية دالّة على وجود شاهد -في كلّ القرن- لا يزلّ ولا يخطئ ، لأنّه لو كان يزلّ أو يخطئ ، لكان أحقّ أن يُشهد عليه ، لا أن يكون شاهداً على النّاس ، وقد تكرّر هذا في آيات وسور عديدة في القرآن الكريم ، بأنّ هناك أشهاد على الأمم والناس في البشريّة ، وهؤلاء الأشهاد من هذه الأمّة : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[٣] شهداء يوم القيامة ، أي الذين يداينون الناس ، الشاهد يعني الذي يدين ، إنّ فعل الحسن فبحسن ، وإن فعل القبيح فبقبيح ، والديّان فوقهم هو الرسول ، والديّان فوق الرسول هو الله عزّ وجلّ ، فهي سلسلة مراتب وصلاحيّات ،كما في حاكميّة الله عزّ وجلّ في دار الدنيا ، التي لم يثبتها

(١) حلية الأبرار : ٢/١٢٥ .

(٢) النحل ١٦ : ٨٩ .

(٣) الحجّ ٢٢ : ٧٨ .

غير أهل البيت عليهم السلام ، ليست حاكميّة الصلاحيّة التشريعيّة فحسب ، بل حتّى الحاكميّة السياسيّة ، فالحاكم السياسي الأوّل في حكومة الرسول هو الله عزّ وجلّ ، وهو الحاكم العسكري الأوّل ، والحاكم الاقتصادي الأوّل ، يأمرهم بالحرب أو الغزو أو المعاهدة . هذه النظريّة في غير عقيدة أهل البيت عليهم السلام غير مصوّرة ، بل تحسر يدي البارئ عزّ وجلّ عن التصرّف ، والعياذ بالله .

أقسام الصفات الإلـٰهيّة

نخلص من هذا كلّه ، ونستنتج ونصل إلى قاعدة عامّة في صفات الباري الفعليّة ، باعتبار أنّ الصفات الإلـٰهيّة تنقسم إلى قسمين :

١ ـ الصفات الذاتيّة (كالوجود ، والأحديّة ، والواحديّة ، والحياة ، والقدرة ، والديموميّة ، والأوّليّة والآخريّة ، والعلم) ، والسمع والبصر يرجعان إلى العلم بهذا المعنى : ﴿ **السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .

٢ ـ الصفات الفعليّة ، مثل الرازق ، الباسط ، المميت ، المحيي ، الحاكم ، مالك يوم الدين ، وما شابه ذلك .

ويعبّرون عن الضابط بين الصفات الفعليّة والصفات الذاتيّة ، بأنّ الصفات الفعليّة تارة تثبت له تعالى ، وتارةً يُثبت ضدّها : فالمحيي يُثبت ، والمميت يُثبت ، والرازق يُثبت ، والمقدر يُثبت ، كلّها ثابتة

للباري تعالى . فالصفات الفعليّة ـ إذاً ـ ترجع لنفس فعله تعالى ، وفعله تعالى مخلوقٌ له ، فإذا كان الفعل مخلوقاً له ، فإنّ تجلّي الباري تعالى بصفاته الفعليّة هو تجلٍّ بفعله لا بتجسيمه تعالى ، ولا بتشبيهه بأحد من خلقه ، سواء كان المشبّه به جسماً أو نوراً أو غيره ، بل إنّ تجلّيه في صفاته الفعليّة هو بتوسّط فعله ، وكلّ مخلوقاته هي فعله ، حتّى الجواهر الروحيّة ، والجواهر النورانيّة والنوريّة ، والجواهر الجسمانيّة ، كلّها له تعالى ، كما يقول الباري تعالى عن النبيّ عيسى وأمّه : ﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾(١) .

﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ** ﴾(٢) ، فنفس وجود النبيّ عيسى هو كلمة من كلمات الله تعالى ، تكلّم بها الله تعالى ، وآية من آياته تجلّى بها الله تعالى .

تجلّي صفات الله بتوسّط أفعاله ومخلوقاته الشريفة

هنا قاعدة عامّة ، فالأفعال والصفات الفعليّة ، التي هي مشتقّة أو هي عين الأفعال ، تعني تجلّي الله عزّ وجلّ بالفعل نفسه ، مثل تعبير

---

(١) المؤمنون ٢٣: ٥٠ .

(٢) النساء ٤: ١٧١ .

الإمام الصادق عليه السلام : « **غضب الله عقابه ، ورضاه ثوابه** »[١] .

فليست هذه الصفات كأحوال عارضة على الجسم أو على جوهر نفساني أو على جوهر نوراني أو غيره . في الصفات الفعليّة وفي أفعال الباري ـ إذاً ـ قاعدة عامّة : تجلّي الباري تعالى بتوسّط مخلوقاته الشريفة ، فكما مرّ بنا حول حاكميّته تعالى في دار الدنيا ، التي كانت بنزول المشيئات والإرادات الإلٰهيّة على قلب الرسول صلى الله عليه وآله ، فكان هذا مظهراً لحاكميّة الله في النظام البشري ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٢] ، لا يعني انحسار قدرته تعالى ، وإنّما هو أقدرُ في تلك القدرة التي أقدرَ المخلوقَ عليها ، وهو أقدر من المخلوق على تلك القدرة من المخلوق نفسه ، وهو الذي عبّر بذلك ـ في قول قريب من هذا المضمون ـ أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة .

فقدرة البارئ عزّ وجلّ غير محصورة ، ولا يصحّ القول بعزلته عن قيموميّته على خلقه ، وعلى الفعل في خلقه ، وهو الذي يفيض هذه القدرة آناً بآن ، أو ما هو أقلّ من الآن . المدد هو من الباري تعالى ومن ثمّ هو المتحكّم ، فصدق بذلك أن توفّي الأرواح يُسند تارةً إلى ملك الموت ، وتارةً إلى أعوان ملك الموت ، وتارةً يسنده القرآن الكريم

---

(١) أمالي الصدوق : ٣٥٣ .

(٢) البقرة ٢ : ٣٠ .

بمعنى الفعل إلى الباري تعالى ، لأنّ ملك الموت عندما يقوم بهذا الفعل ، يكون هذا الفعل مددٌ من الله ، وهيمنة وإحاطة من الله ، وإفاضة من الله عزّ وجلّ ، فبقدر شعرة أو ما هو أقلّ من الشعرة ، أو بقدر الآن أو ما هو أقلّ من الآن ، لا يستقلّ عزرائيل عليه السلام عن مدد الله في ذلك . فالفاعل الحقيقي هو الله عزّ وجلّ ، لكن مظهر الفعل هو عزرائيل ، وعزرائيل أيضاً قد يكون له أعوان مثل قولنا بأنّ « يدنا عون لنا » ، أو « قوانا عون لنا » ، أيضاً لعزرائيل أعوان ، وهم أيضاً يستمدّون القدرة من الله عبر عزرائيل .

هذا يصحّح كون الفعل لله عزّ وجلّ ، وهو حقيقةً له تعالى ، بقدرته القيوميّة والهيمنة والإحاطة التي له على مخلوقاته ، ففي الصفات الفعليّة عموماً ، يكون فعله تعالى بتوسّط صدور تلك الأفعال من مخلوقاته الشريفة ، لأنّه هو الذي يمدّ ويفيض تلك القدرة على مخلوقاته ، من ثمّ يكون الفعل مسنداً إليه ، ولا يتوهّم من قولنا إنّ الله تعالى هو ديّان يوم الدين ، أنّ لله تعالى في عرصة يوم القيامة موقعيّة جغرافيّة معيّنةً نتّجه إليها ، وأنّ تلك الموقعيّة الجغرافيّة هي محدّدة لجسم الباري ـ والعياذ بالله ـ .

إياب الخلق وحسابهم في يوم القيامة

فإيابنا إلى خلفاء الله في المحشر ، هو إيابٌ لله عزّ وجلّ ، ومداينة

أولياء الله للعباد يوم القيامة هي مداينة إلى الله ، وإلّا فإنّ عليّاً عليه‌السلام ـ كما روى الفريقين ـ هو قسيم النار والجنّة « **قسيم النار والجنّة . أقول للجنّة : هذا محبّك فدعيه يدخل ، وللنار : هذا مبغضك فخذيه** »[١] .

وهو مظهر لفعل الله عزّ وجلّ . هذه الصفات لله عزّ وجلّ ليست خاصّةً بنشأة دون أُخرى لكي نتساءل ونجادل في كيفيّة تفسيرها في نشأة الآخرة دون نشأة الدنيا ، ففي النشأة الدنيا ـ أيضاً ـ يمكن هذا القول إذا صحّ في النشأة الدنيا : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٢] ، بلا عزلة ، وكأنّما هذا الذي يتبنّى هذا السؤال أو الإشكال في خلده أو في قناعته أو في ذهنه ، يرى أنّ انحسار قدرة البارئ لا مانع منه في الدار الدنيا ، أمّا في يوم القيامة فهناك مانع ! كلّ النشآت ممتنعة عن انحسار قدرة البارئ ، ولذا مرّ بنا أنّه ليس هناك نظريّة في المذاهب الإسلاميّة كما في مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام ، من تصوير أنّ الحاكم الأوّل ـ لا يعزب عن حكومته وحاكميّته ـ هو الله عزّ وجلّ ، لم يستطيعوا في بياناتهم الاعتقاديّة أن يصوّروا أو يبيّنوا أو يحقّقوا هذا المطلب ، بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم‌السلام ، وهذا سرّ وصف الأئمّة بهذه الصفة المهمّة ، أنّهم « مهبط مشيئات الله » للدلالة على مظهر حاكميّة الله

---

(١) راجع مناقب أمير المؤمنين : ٥٧٢/٢ ، باب ما ذكر أنّ عليّ قسيم النار .

(٢) البقرة ٢ : ٣٠ .

عزّوجلّ : ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** ﴾[١] في الزيارة الجامعة التي نقرأها .

إن كان هذا هو الحال في الدار الدنيا ، وهو لا ينافي حاكميّة الله ، بل على العكس من ذلك ، فهو يوحّد ويحقّق ويبيّن حاكميّة الله عزّ وجلّ ، فإنّ الحال هو كذلك في الدار الآخرة ، في محاسبتهم عليهم‌السلام للخلق ، وإلّا فما معنى « قسيم الجنّة والنار ؟ ! » ، وماذا يعني كونهم أصحاب الأعراف »[٢] .

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٢٦ و ٢٧ .

(٢) وفي تفسير العيّاشي : ١٨/٢ ، الحديث ٤٣ ، عن هلقام ، عن أبي جعفر عليه‌السلام ، قال : « سألته عن قول الله : ﴿ **وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ** ﴾ [الأعراف ٧ : ٤٦] مايعني بقوله : ﴿ **وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ** ﴾ ؟

قال : **ألستم تعرفون عليكم عرفاء على قبائلكم ليعرفوا من فيها من صالح أو طالح ؟**

قلت : بلى .

قال : **فنحن أُولئك الرجال الذين يعرفون كلّا بسيماهم** » . تفسير الميزان : ١٤٥/٨ .

ويقول أمير المؤمنين عليه‌السلام : « **أنا قسيم النار ، وخازن الجنان ، وصاحب الأعراف** » خاتمة المستدرك : ٩٣/٣ . مختصر بصائر الدرجات : ٣٤ . بحار الأنوار : ٤٨/٥٣ .

»

وإن كان المفسّرون قد فسّروا «أصحاب الأعراف بمعنى أنّهم من تكافأت حسناتهم وسيّئاتهم فلم يستطيعوا الدخول للجنّة، ولم يُذهب بهم إلى النار، لكنّ الصحيح في تفسير الأعراف ليس هذا التفسير، وحتّى سياق الآيات لا ينهض بهذا التفسير الدارج عند

» ويقول العلّامة المجلسي (رحمه الله) في هامش هذا المقطع من خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام): «إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾** فقد روي في المجمع: ٢٦٢/٤ عن الحاكم الحسكاني ـ وهو من حفّاظ العامّة، قال عنه الذهبي في تذكرته: ٣٠٩/٣: شيخ متقن، ذو عناية تامّة بعلم الحديث، كان معمّراً، عالي الإسناد، صنّف وجمع ـ بإسناده رفعه إلى الأصبغ بن نباتة، قال: «كنت جالساً عند عليّ (عليه السلام) فأتاه ابن الكوّاء فسأله عن هذه الآية، فقال: **ويحك يابن الكوّاء! نحن نقف يوم القيامة بين الجنّة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار**». شواهد التنزيل: ٢٦٣/١، الحديث ٢٥٦

وعن الغدير: ٣٢٥/٢: وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٣٦/٤: في الآية الشريفة، عن ابن عبّاس، أنّه قال: «الأعراف موضع عال من الصراط، عليه العبّاس وحمزة وعليّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه»، ورواه ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: ١١٧، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٠١، والشوكاني في فتح القدير: ١٩٨/٢.

المفسّرين، بل هو كما أشارت له روايات أهل البيت (عليهم السلام): أنّهم هم أصحاب الأعراف، هم المتوسّمون، وهم الحكّام، وهم ديّان يوم الدين، نيابةً عن الله عزّ وجلّ، كما مرّ شرحه مفصّلاً بالشواهد السابقة المشار إليها.

هكذا صوّرت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هذا المعنى، فالمداينة والمحاسبة يوم القيامة هي فعل من أفعال الباري، يوجده الله عزّ وجلّ ولو على أيدي شرفاء مخلوقاته، لأنّه هو الذي يمدّهم، يمدّ ذواتهم ويمدّ أفعال ذواتهم. يقول تعالى: **﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾**(١)، عباد مكرمون، وكرامتهم على الله أنّ كلّ حركاتهم وسكناتهم وإرادتهم ومشيئاتهم صادرة عن إرادة ومشيئة الله، فنقمتهم من نقمة الله، وغضبهم من غضب الله. وكذا قوله: «**يغضب لغضبها**» فأحد تفاسير هذا الحديث الشريف هو أنّ رضا فاطمة (عليها السلام) هو صادرٌ من رضا الله عزّ وجلّ، وأنّ غضبها هو من غضب الله، أو تابع لغضب الله.

نظير عبارة الإياب والحساب في القرآن الكريم

على ذلك فهذه العبارة: **وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ** هي

(١) الأنبياء ٢١: ٢٦ و ٢٧.

عين التوحيد ، باعتبارهم عليهم السلام خلفاء الله عزّ وجلّ ، ومظهر إرادته ومظهر مشيئته ، وقد وردت في القرآن الكريم عدّة أفعال لملائكة النار ، ولـ(مالك) صاحب رئاسة ملائكة النار ، وهذه الأفعال هي أفعال الله تعالى ، لكنّها تظهر على أيدي خزنة النار . وعلى ذلك فهذا التعبير موجود في القرآن الكريم ولا يُختلف عليه ، فكيف تكون هذه الفقرة في الزيارة الجامعة مخالفة للكتاب والسنّة ؟ ! بل هي مطابقة للكتاب والسنّة ! شريطة التضلّع في هذه المعارف الاعتقاديّة ، وإلّا فإنّ كلّ إنسان لا يغور ولا يتدبّر فيها ، ويبني حينئذٍ على التجسيم وعلى التشبيه ونحو ذلك ، أو يبني على أنّ لله عزّ وجلّ في يوم القيامة موقعيّة جغرافيّة ـ والعياذ بالله ـ ، وإن كان ذلك غير حاصل في الدار الدنيا ، بل هو تعالى الذي عيّن العين فلا عين له ، وهو الذي كيّف الكيف فلا كيف له ، وهو الذي خلق الزمان والمتى فلا زمان له .

خرجنا بقاعدة عامّة مهمّة ولله الحمد ، وهي أنّ الصفات الفعليّة للباري لا يُتوقّع أن تعرض أو تحلّ أو تطرأ على ذات الباري ، فهذا توهّم ، وهذا يستلزم الحدوث ، ويستلزم الإمكان والنقص في ذات الباري . إنّ صفاته الفعليّة وأفعاله هذه تقع بأن يوجدها تعالى في مخلوقاته ، فالمدد والفيض يكون منه عزّ وجلّ ، وهذا مختلف عن صفاته الذاتيّة ، إلّا بناءه على التجسيم والتشبيه وما شابه ذلك .

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

المَصَادِرُ

١ ـ الاعتقادات : الشيخ الصدوق رحمه الله ، دار المفيد .

٢ ـ أمالي الشيخ الصدوق رحمه الله : مؤسّسة النشر الإسلامي .

٣ ـ الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة : السيّد عبدالله شبّر رحمه الله ، مؤسّسة الوفاء .

٤ ـ بحار الأنوار : الشيخ المجلسي رحمه الله ، مؤسّسة الوفاء

٥ ـ تأويل الآيات في فضل العترة الطاهرة : السيّد شرف الدين الحسيني رحمه الله ، مطبعة الأمير .

٦ ـ تفسير الميزان : العلّامة الطباطبائي رحمه الله ، مؤسّسة النشر الإسلامي .

٧ ـ تنقيح المقال : الشيخ عبدالله المامقاني رحمه الله (الطبعة الحجريّة) .

٨ ـ التوحيد : الشيخ الصدوق رحمه الله ، جماعة المدرّسين .

٩ ـ حاشية المكاسب : الشيخ الأصفهاني رحمه الله ، أنوار الهدى .

١٠ ـ حلية الأبرار : السيّد هاشم البحراني رحمه الله ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة .

١١ ـ خاتمة المستدرك : المحدّث النوري رحمه الله ، دار الكتب الإسلاميّة .

١٢ ـ رجال النجاشي : الشيخ أبو العبّاس أحمد بن عليّ النجاشي رحمه الله ،

مؤسّسة النشر الإسلامي .

١٣ ـ روضة المتّقين : المولى محمّد تقي المجلسي (قدس سره) .

١٤ ـ شرح الأسماء الحسنى : الملّا هادي السبزواري (قدس سره) ، مكتبة بصيرتي .

١٥ ـ شرح أُصول الكافي : المولى محمّد صالح المازندراني (قدس سره) .

١٦ ـ شرح دعاء الندبة : السيّد صدر الدين الطباطبائي (قدس سره) .

١٧ ـ عدّة الأُصول : الشيخ الطوسي (قدس سره) ، مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) .

١٨ ـ علل الشرائع : الشيخ الصدوق (قدس سره) ، المكتبة الحيدريّة .

١٩ ـ عوالم الإمام الحسين (عليه السلام) : الشيخ عبدالله البحراني (قدس سره) ، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) .

٢٠ ـ عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : الشيخ الصدوق (قدس سره) ، مؤسّسة الأعلمي .

٢١ ـ الغدير : العلّامة الأميني (قدس سره) .

٢٢ ـ الكافي الشريف : ثقة الإسلام الكليني (قدس سره) ، دار الكتب الإسلاميّة .

٢٣ ـ كتاب الطهارة : السيّد الخوئي (قدس سره) ، دار الهادي .

٢٤ ـ كتاب الطهارة : الشيخ الأنصاري (قدس سره) ، مؤسّسة الهادي (عليه السلام) .

٢٥ ـ كمال الدين وتمام النعمة : الشيخ الصدوق (قدس سره) ، مؤسّسة النشر الإسلامي .

٢٦ ـ اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام) : المولى محمّد التبريزي الأنصاري (قدس سره) ، مؤسّسة الهادي (عليه السلام) .

٢٧ ـ اللهوف على قتلى الطفوف : السيّد ابن طاووس (قدس سره) ، أنوار الهدى .

٢٨ ـ مختصر بصائر الدرجات : الشيخ حسن الحلّي (قدس سره) ، المطبعة لحيدريّة .

٢٩ ـ مستدرك معجم رجال الحديث : الشيخ النمازي .

٣٠ ـ مصباح الفقاهة : السيّد الخوئي (قدس سره) ، الغدير .

٣١ ـ معاني الأخبار : الشيخ الصدوق (قدس سره) ، جماعة المدرّسين .

٣٢ ـ معجم رجال الحديث : السيّد الخوئي (قدس سره) .

٣٣ ـ مفاتيح الجنان : الشيخ عبّاس القمّي (قدس سره) ، مؤسّسة الأعلمي .

٣٤ ـ نتائج الأفكار : السيّد الگلپايگاني (قدس سره) ، دار القرآن الكريم .

٣٥ ـ النجم الثاقب : المحدّث النوري (قدس سره) .

٣٦ ـ نهج البلاغة : جمع الشريف الرضي .

المحتويات

المقدّمة ٧

القسم الأوّل: الراوي موسى بن عمران بن يزيد النخعي ١١

وجوه أُخرى لاعتبار حال الراوي:

الأوّل: موسى الراوي لأغلب روايات عمّه النوفلي ٢١

الثاني: روايات النوفلي جلّها في المعارف ٢٢

الثالث: اعتماد الأعلام على رواياته ٢٢

مَن روى عن ٢٢

وروى رواياته عنه ٢٣

صحّة سند الزيارة ٢٤

الرابع: سؤال للإمام الهادي عليه السلام ٢٤

الخامس: بيان الإمام الهادي عليه السلام ٢٥

مضامين الزيارة الجامعة ٢٥

متون رواياته في المعارف ٢٦

السادس: توثيق الأعلام للنخعي واعتمادهم واستشهادهم بالزيارة .. ٤٣

أقوال العلماء في سند ومتن الزيارة ٤٣

استشهاد العلماء بالزيارة ٤٧
الإمام صاحب الزمان (عج) والزيارة الجامعة ٥٤
الزيارة الجامعة الكاملة ٥٦

القسم الثاني: ردّ الشبهات ٥٧
شبهة وإثارة ٥٩
نظريّة التجسيم ودورها في خلق هذا التساؤل ٦١
نفي مقالة التجسيم ٦٤
نفي التعطيل وما قد يجرّ إليه ٦٧
نفي التشبيه وعلاقته بمبحث المعاد ٧٠
الفرق بين نظرة مدرسة أهل البيت ونظرة بقيّة المدارس لصفات الله .. ٧٤
حاكميّة الله تعالى كما تراها مدرسة أهل البيت عليهم السلام ٧٧
بيان أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الذات الإلٰهيّة ٨٠
وساطة المخلوقات في أفعال الألوهيّة ٨٣
أقسام الصفات الإلٰهيّة ٩٠
تجلّي صفات الله بتوسّط أفعاله ومخلوقاته الشريفة ٩١
إياب الخلق وحسابهم في يوم القيامة ٩٣
نظير عبارة الإياب والحساب في القرآن الكريم ٩٧
المصادر ٩٩